

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة -



كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

تعليمية اللغة العربية في مقدمة ابن خلدون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: لسانيات تعليمية

إشراف الدكتور:

- لعلوحي فهيمة

إعداد الطالبة:

- ددوعة مروى

السنة الجامعية:

1437/1436هـ

2016/2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول ابن خلدون في " تعلم اللسان المضري ":

" اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد

ذهبت وفسدت، ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر

التي نزل بها القرآن وإنما هي لغة أخرى من امتزاج

العجمة بها كما قدمناه، إلا أن اللغات لما كانت ملكات

كما مر كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات، ووجه

التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ

نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من

القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب

في أسباجهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضاً في سائر

فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم

والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد

منهم "

مقدمة ابن خلدون

شكر و عرفان

الحمد و الشكر لله تعالى الذي وفقنا لإتمام هذا العمل العلمي المتواضع،
كما يسعدنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة التي شرفتنا
بموافقتها للإشراف على هذا البحث، الأستاذة " فهيمة لطلحي " .

إلى الأساتذة الأفاضل الذين قدموا لي يد العون.

مع الشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة لتشريفهم لنا بمناقشة هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من دعمني في إنجاز هذا البحث.

والجميع ندين و نعتز به بكل ما قدموه لنا من معونة صادقة.

لكم منا كل الشكر و العرفان.

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، منزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على محمد معلم الأنام، معلم البشرية أجمعين.

شغل تعليم اللغات بال واهتمام الدارسين قديما وحديثا، وبيان ذلك في الكتب التراثية والكتب الحديثة التي اشتملت على عديد من الآراء التعليمية والتربوية، رغم أن التعليمية لم تظهر كعلم مستقل إلا حديثا.

واللغة العربية إحدى هذه اللغات التي اهتم بها أبنائها منذ القديم وخاصة في ميدان التعليم، لأنه أساس رقي وازدهار الحضارات، ولا يخفى لنا أنها تواجه صعوبات في هذا الميدان سواء في تدريسها أم في التعامل بها، وضرورة التعرف على ما يكتنفها من صعوبات في هذا الميدان يستدعي الرجوع بنا إلى التراث الذي يعكس صورة الماضي و يضيء طريق المستقبل، و أبرز من عالج قضية التعليم في التراث ابن خلدون في مقدمته المشهورة؛ التي هي عبارة عن تمهيد لمؤلف ضخم هو "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، لصاحبه ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، و عنيت دراستي هذه بمحاولة الكشف عن ملامح الفكر التربوي لديه و إثبات فضل سبق له عن الدراسات التربوية الحديثة، و بقدر الرجوع إليه و استشهادنا بما خلفه بقدر اعتزازنا به .

و عليه جاءت مذكرتنا موسومة بـ "تعليمية اللغة العربية في مقدمة ابن خلدون"، و غرض البحث إثبات أهم الأفكار و الآراء التعليمية المتضمنة في المقدمة، و الرغبة في الاستفادة و لو بجزء قليل من التراث العربي بصفة عامة و المغربي بصفة خاصة، و كذلك طبيعة الموضوع التي تتماشى مع طبيعة التخصص.

وجاء موضوعنا لي طرح ويجيب على أهم هذه الإشكاليات: كيف نظر ابن خلدون للغة و الملكة اللسانية؟ وكيف كان تأثير اللغة بالمجتمع عنده؟ وما علاقة النحو بالإعراب عنده؟ وما هي عناصر العملية التعليمية التي تطرق لها؟ وكيف كان تحديده لمراحل التعليم في عصره؟ وما هي أهم الطرق التعليمية التي أشار إليها؟، وحتما سوف تسهم هذه الإشكاليات في الكشف عن وجود رؤية خلدونية في التعليم مبدعة في فكرها و سابقة لعصرها.

و هذا يقتضي السير على هذه الخطة:

المدخل: الموسوم بـ "الجهاز المفهومي" والذي قدمنا فيه، مفهوم التعليمية ومن ثم تطرقنا على عناصرها وأشرنا إلى كل عنصر على حدة، ثم حددنا خصائص اللغة العربية وفي آخره كان لمحة وجيزة عن المقدمة.

الفصل الأول: الموسوم بـ: "اللغة والملكة والنحو عند ابن خلدون"، وجاء في ثلاثة أقسام؛ القسم الأول عنون بـ: "اللغة عند ابن خلدون"، والقسم الثاني عنون بـ: "الملكة عند ابن خلدون"، أما القسم الثالث عنون بـ: "النحو عند ابن خلدون".

الفصل الثاني: فيتمثل في الجانب التطبيقي الموسوم بـ: "العملية التعليمية عند ابن خلدون" الذي يقسم إلى ثلاثة أقسام؛ الأول يتعلق بـ: "عناصر العملية التعليمية"، أما الثاني يتعلق بـ "مراحل وطرق التعليم عند ابن خلدون"، والقسم الثالث يتمثل في "الأهداف التعليمية ونقائص التعليم عند ابن خلدون".

وقد ذيلت هذه الرسالة بخاتمة تضمنت النتائج التي أفضى إليها البحث.

اعتمدنا في مذكرتنا على مجموعة من المصادر والمراجع؛ كانت مقدمة ابن خلدون لـ: عبد الرحمن ابن خلدون تحقيق أحمد جاد مصدرا رئيسا، وكتاب الملكة اللسانية في

نظر ابن خلدون لـ: محمد عيد من أهم النراجع التي اعتمدها، فضلا عن بعض الرسائل الجامعية.

و لتحقيق أهداف بحثنا لا بد من الاستناد إلى منهج تقوم عليه الدراسة و هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على آلية وصف الظاهرة كما هي مع تحليل النتائج .

أما عن الصعوبات التي واجهتنا طبيعة المدونة التي تحتاج إلى قراءات متعددة للنفاذ إلى عمقها و فهمها و الوقت لا يسعنا لذلك.

وفي الأخير لا يسعنا إلا نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان إلى أستاذتنا الفاضلة، " فهيمة لحلوي" التي أشرفت على هذه الدراسة وكانت نعم المشرفة والموجهة لنا، فلكي منا فائق التقدير والاحترام كما أشكر السادة أعضاء اللجنة الذين ستكون توجيهاتهم وملاحظاتهم لها أثرا كبيرا في إثراء هذه الدراسة.

مدخل: الجهاز المفهومي

1. مفهوم التعليمية.
2. عناصر العملية التعليمية.
3. خصائص اللغة العربية.
4. لمحة عن المقدمة.

1- مفهوم التعليمية:

"إن ظهور مصطلح التعليمية Didactique في الفكر اللساني والتعليمي المعاصر يعود إلى M.F Makey ، و هو نوع خاص من الشعر يدور موضوعه حول عرض مذهب متعلق بمعارف علمية أو تقنية"¹.

كذلك عرفها بشير إبرير في قوله: "وهو الدراسة العلمية لطرائق التدريس و لتقنياته، و لأشكال تنظيم حالات التعلم التي يخضع لها التلميذ بعناية للوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي، أو الانفعالي، أو الحسي حركي"².
إذن فالتعليمية علم له أسسه و قواعده و نظرياته، يرتبط أساسا بتنظيم وضعيات التعلم للوصول إلى الأهداف المرجوة لشكل المتعلم المطلوب، و للتعليمية نوعان أساسيان يتكاملان فيما بينهما بشكل كبير هما:

1.1. التعليمية العامة Didactique générale:

"تهتم بكل ما يجمع بين مختلف مواد التدريس، أو التكوين و تقتصر على ما هو عام و مشترك في تدريس جميع المواد"³.

2.1. التعليمية الخاصة Didactique spéciale:

"تعني كل ما يتعلق بتدريس مكونات اللغة كالقراءة، و التعبير و الكتابة و غيرها"⁴

¹ ينظر : رشيد بناني: من البيداغوجيا إلى الديدكتيك، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، سنة 1991م، ص 37.

² بشير إبرير و آخرون: مفاهيم التعليمية بين التراث و الدراسات اللسانية الحديثة، مخبر اللسانيات و اللغة العربية، جامعة باجي مختار للنشر و التوزيع، عنابة، الجزائر، د.ط، سنة 2009م، ص 34.

³ ينظر: خالد المير و آخرون: سلسلة التكوين التربوي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، سنة 2001م، ج3، ص69

⁴ ينظر: خالد المير و آخرون: سلسلة التكوين التربوي، ص69.

2- عناصر العملية التعليمية:

تتكون العملية التعليمية من ثلاثة عناصر أساسية (معلم - متعلم - محتوى) ولا تتم مهام كل عنصر إلا بوجود الآخر، وتتفاعل فيما بينها لتحقيق أهداف النظام التربوي، و أي خلل في إحدى هذه العناصر يؤدي إلى فشل المنظومة التربوية؛ و هي كالتالي:

أولاً: المعلم

هو مؤدي الرسالة التعليمية، و هو "القائم بدور التربية و التعليم، أو المرشد للتلميذ إلى التعلم الذاتي الذي تشترطه التربية الحديثة في العملية التعليمية"¹.
 كذلك يشير إليه عبد العليم إبراهيم في قوله: "المقومات الأساسية للتدريس إنما هي تلك المهارة التي تبدو في موقف المدرس و حسن اتصاله بالتلميذ و حديثه إليهم، و استماعه لهم، و تصرفه في إجاباتهم و براعته في استهوائهم و النفاذ إلى قلوبهم ... إلى غير ذلك من مظاهر العملية التعليمية الناجحة"².
 إذن فالمعلم هو إنسان كفاء لمهنة التعليم سواء من الناحية العلمية أو الخلقية، أو غيرها من الصفات التي تجعل منه معلماً ناجحاً، و نحدد هذه الصفات فيما يلي:

¹ محمود علي السمان: التوجيه في تدريس اللغة العربية، دار المعارف، د.ط، القاهرة، مصر، سنة 1983م، ص 13.

² عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف، ط5، القاهرة، مصر، سنة 1985، ص 25.

1. الاستعداد المهني:

يكون هذا الاستعداد في مجالات عدة كالجانب النفسي و الأدائي و التواصل و الكفاءة المهنية... الخ، ويشترط عبد الله عبد الدائم على المعلم " أن يستكمل عدته و يشهد له بذلك أفاضل أساتذته و كبار علماء عصره أو بلدته على الأقل"¹.

2. الإمام بالجوانب المعرفية:

"المعلم يحتاج إلى الثقافة العامة لكي يكون مدرسا ممتازا"². و لا يقتصر على مجال التعليم فقط بل يكون مطلع على العلوم الأخرى مثل علم النفس، علم الاجتماع... الخ لأن هذه المعرفة تسهل عليه كيفية التعامل مع طلابه.

3. يتمتع بالصبر و الثقة بالنفس:

أن يكون صبورا لا يمل و لا يغضب بسرعة لأن الانفعال السلبي يؤدي إلى الندم، و يجب عليه معرفة ضبط النفس لحسم المشكلات الطارئة و حسن التصرف في المواقف.

4. طريقة الأداء و النطق السليم:

تؤدي الحروف و الكلمات أداء صحيحا واضحا، لا تشويه العيوب النطقية و التردد، و لا يعيبه كذلك السرعة التي تضيع في ثناياها بعض الحروف، أو بعض المقاطع، أو البطء الممل المتكلف أو نحو ذلك.

5. التمكن من المادة التي يدرسها:

يكون المعلم غير مخلص إن كان يدرس مادة لا يجيدها، إن فاقد الشيء لا يعطيه و لن يستطيع المعلم أن يفهم التلميذ مادة هو نفسه لا يجيد فهمها.

¹ عبد الله عبدالدائم: التربية عبر التاريخ من العصور الحديثة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان، سنة 1984م، ص 171.

² محمود علي السمان، التوجيه في تدريس اللغة العربية، ص 15.

إن فلا تتحقق أهداف التعليم إلا بمعلم ذو شخصية سوية في خصائصها، وصفاتها وطموحها، وآمالها وتقديرها لقيمة مهنتها.

ثانياً: المتعلم

يعد المتعلم محور العملية التعليمية والأساس الذي يبنى عليه المنهاج، لذا يجب معرفته ومراعاة قدراته واستعداداته وميوله، وحاجاته وعاداته واتجاهاته ومشكلاته¹، وهذه بعض الخصائص " (وهي تلك الأوجه من خبرات المتعلم التي تؤثر في فاعلية عملية التعلم)² والسمات التي يجب أن يتحلى بها هي كالتالي:

1. النضج:

عامل أساسي في التعلم، واكتمال النضج الفكري والجسمي للمتعلم يساعده على تحقيق التعلم ، ، لأنه هو الذي "يمكن الفرد من تعلم أنماط متعددة من السلوك يتعذر اكتسابها دون اكتمال نضج الأجهزة الحسية الخاصة بها"³.

2. الاستعداد:

"يشير الاستعداد إلى الحالة التي يكون فيها الفرد قادراً على تعلم مهمة أو خبرة ما ويرتبط بعامل النضج"⁴، و هو قابلية تساعد المتعلم للقيام بالأعمال والنشاطات المدرسية بنجاح.

¹ ينظر: حلمي أحمد الوكيل وحسين بشير محمود: الاتجاهات الحديثة في تخطيط وتطوير المناهج، دار الفكر العربي، د.ط، سنة 1999م ، ص 78.

² فريدة الشنان ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي، تنقيح عثمان آيت مهدي، ملحقة سعيدة الجهوية، وزارة التربية الوطنية ، الجزائر، ص21.

³ عماد عبد الرحيم الزغلول: مبادئ علم النفس التربوي، دار الكتاب الجامعي، ط2، العين، الامارات العربية المتحدة ص83.

⁴ ينظر: عماد عبد الرحيم الزغلول: مبادئ علم النفس التربوي ، ص83

3. الدافعية:

من أهم خصائص إثارة المتعلم؛ "وهي حالة داخلية تستثير سلوك ما لدى الفرد وتوجه هذا السلوك وتحافظ على استمراريته"¹. وكلما كانت موجودة عند المتعلم كلما زادت رغبته للتعلم.

4. الممارسة والخبرة:

تعتبر من شروط الموقف التعليمي وهي: "إتاحة الفرصة للمتعلم بأكبر فرص من التفاعل واكتساب الخبرات المتعددة"²، و تسهم في تحديد نمط سلوك المتعلم أثناء تلك المواقف التعليمية وفقا لنتائج تفاعله معها. و باكتسابها تزداد فرص تعليمه.

5. الخلق الحسن:

يظهر هذا السلوك في معاملاته مع زملائه ومع المعلمين، فالطالب الذي أخلاقه حميدة "لا ينظر إلى قاعات المدرسة ولا يقوم بالإشارة والالتفات إلى الطلبة وقت الدرس ولا يتأخر في حضور الدرس"³.

6. المحافظة على حقوق المدرسة وواجباته اتجاهها:

يجب عليه الالتزام بالآداب العامة للمؤسسة والحفاظ على ممتلكاتها، وعدم مخالفة قانونها الداخلي، "وعليه أن يتحرى القيام بجميع شروطها ويحاسب نفسه على ذلك"⁴. فالمتعلم في العملية التربوية ليس مجرد متلقي، بل دوره فعال ونشط في الموقف التعليمي وكلما توفرت فيه الشروط المذكورة سابقا كلما كانت النتائج أفضل، لأنه الصورة التي تجسد أهداف المنظومة التربوية.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 85.

² المرجع نفسه، ص 85.

³ ينظر: عبد الله الدائم، التربية عبر التاريخ من العصور الحديثة حتى أوائل القرن العشرين، ص 189.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 178.

ثالثاً: المحتوى

هو "المعرفة أو المهارات والاتجاهات أو القيم التي يتعلمها الفرد"¹، و المضمون الذي بواسطته تتحقق الأهداف التربوية، و" اختيار المحتوى يمثل المرحلة الجوهرية في تعليم اللغة"²، حيث "يتم اختيار المحتوى وفق معايير عديدة من بينها الأهمية والحداثة والوظيفية ثم التأكد من الاتساق بين المحتوى وأهداف المنهج، ويكون مساعد للمعلم من أجل تحقيق هذه الأهداف"³، وهذه بعض المعايير في اختياره:

1. ارتباط المحتوى بالأهداف البيداغوجية:

توافق المحتوى التعليمي مع مخططات الأهداف التربوية يحقق الكفاءة التعليمية المرجوة، و كلما زاد ارتباط المحتوى بالهدف أدى إلى زيادة الفرص المتاحة لتحقيق هذه الأهداف، وإذا ما ابتعد المحتوى عن الهدف فإنه يؤدي إلى الانحراف بالعملية التعليمية⁴.

2. صدق المحتوى وأهميته:

يشترط أن تكون معلومات المحتوى التي يتضمنها دقيقة وواضحة وخالية من الأخطاء العلمية، ولديها قيمة في حياة المتعلم ومطابقة للأهداف التربوية.

3. قابلية المحتوى:

يراعى في اختياره مستوى المتعلم وقدراته العقلية والنفسية والبدنية، فينبغي أن يتوافق مع تلك القدرات، وكذلك مستوى تأهيل المعلمين وقدرتهم على إيصاله، وكذلك إمكانيات المدرسة المادية فهل باستطاعتها توفير اللوازم المقررة فيه.

¹ فريدة الشنان ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي، ص 36.

² عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، د.ط، الإسكندرية، مصر، سنة، 1995، ص 91.

³ فريدة الشنان ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي، ص 25.

⁴ حلمي أحمد الوكيل وحسين بشير محمود: الاتجاهات الحديثة في تخطيط وتطوير المناهج، ص 87.

4. ارتباطه بواقع المتعلم:

ينبغي أن يتضمن تطبيقات وأمثلة حسية من واقع المتعلم، فالمحتوى التجريدي يجعل المادة جافة وبعيدة عن فكر المتعلم، لذلك "على المعلم أن يهتم مع طلابه بالدروس المهمة فيقدم ما تكثر حاجتهم إليه على غيره"¹.

5. ارتباطه بفلسفة المجتمع وثقافته:

هي "مجموعة العقائد والقيم والعادات والأعراف السائدة في المجتمع"²، فكل مجتمع أهداف تربوية خاصة به استقاها من تلك الثقافة والفلسفة التي تحكمه. فالمحتوى مرآة تجسد غايات وأهداف المنظومة التربوية، أو بالأحرى هو الصورة العاكسة للمخططات البيداغوجية، واختياره يتطلب متخصصين في عدة مجالات لأنه ينطلق من المجتمع بأكمله.

3- خصائص اللغة العربية :

"تعتبر اللغة العربية وسيلة من وسائل التفاهم ووسيلة للتعلم و تحصيل الثقافات و هي أداة لنقل الأفكار، بل هي أداة التفكير و الحس و الشعور و يجب القول بأنها الرابط التاريخي الذي يشد أبناءها إليها و يعزز في نفوسهم شرف الانتماء، فهم يتعاملون بها في تبادل الأحاسيس و المشاعر"³.

فاللغة العربية لغة كسائر اللغات لها فوائدين و أحكام تضبطها، و هي ثابتة في أصولها و جذورها، و لها خصائص تنفرد بها وحدها عن سائر لغات العالم و هي:

¹ عبد الله عبدالدائم، التربية عبر التاريخ من العصور الحديثة حتى أوائل القرن العشرين، ص 172.

² فريدة الشنان ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي، ص 102.

³ طه علي حسين الدليمي و آخرون: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، سنة 2005م، ص 95.

1.3. امتدادها التاريخي:

"إن العربية لها امتداد تاريخي ليس لهذه اللغات؛ بمعنى أنها استمرت منذ الأدب الجاهلي حتى الآن دون أن تتعرض لتغير نوعي كاللغات الأخرى، ولا يجد العربي المعاصر عناء في الاستجابة لأدب العرب القدماء بل له أقوالهم و أمثالهم"¹.
فلغتنا كانت ومازالت تتمتع بخصائصها الصرفية والنحوية من ألفاظ وتراكيب وأدب وخيال دون تغيير.

2.3. الإعراب:

يعد الإعراب معلم ومفخرة للغة العربية؛ حيث يعرفه ابن جني قائلاً: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لأستبهم أحدهما من صاحبه"²، "وخاصيته فريدة في لغتنا عن باقي اللغات ففي اللغة العربية يغير المعنى لكن في اللغات الأخرى سوى علامات تتبع الأسماء والأفعال"³.
فالإعراب إذن نظام لغوي جاء لتحديد المعنى وضبطه، لتأدية اللغة وظيفة الاتصال والتفاهم.

3.3. الاشتقاق:

هو أخذ فرع من أصل مع تغيير في صيغة الأصل، وقد نقل السيوطي عن (ابن دحية في التنوير)؛ "أن الاشتقاق من أغرب كلام العرب، هو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لأنه أوتي جوامع الكلم وهي جمع

¹ عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، ص 86.

² ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، سنة 1913م، ص 35.

³ ينظر: محمود علي السمان: التوجيه في تدريس اللغة العربية، ص 19.

المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، فمن ذلك قوله فيما صح عنه، يقول الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي"¹، وهذه الخاصية تساعد على تسمية كل جديد فالعرب لم يعرفوا الثلجة ولا الطائرة، حيث يقومون بأخذ من الأصل لاستخراج الفرع لمسايرة ركب الحضارة، و تدور الكلمات المشتقة من الأصل الواحد في نفس الحقل المعنوي.

4.3. الترادف:

ويقول فيه حلمي خليل "هو عبارة عن وجود كلمة أو أكثر لها دلالة واحدة"²، وكذلك يعرفه السيوطي نقلا عن التاج السبكي: "وعبارته في هذه المسألة أن يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة؛ نحو السيف والمهند والحسام"³. إذن فالترادف هو تعدد الاصطلاحات لمعنى واحد، مما يثبت أن اللغة العربية لغة واسعة وغنية بمفرداتها وتراكيبها.

5.3. التضاد:

كثير من اللغات تشترك مع اللغة العربية في وجود الاشتراك اللفظي والترادف، لكن اللغة العربية وبعض اللغات السامية تنفرد دون اللغات الأخرى بوجود ظاهرة التضاد، حتى أن بعض علماء المعاجم المعاصرين، لم يجدوا مثالا لتوضيح ذلك، إلا من اللغة العربية⁴، وهو كما عرفه جلال الدين السيوطي: "ن يكون استعمال اللفظ في المعنيين

¹ جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة، ج1، ص 346.

² حلمي خليل: مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة العلمية، دط، سنة 2005م، ص167.

³ جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص 404.

⁴ ينظر: حلمي خليل: مقدمة لدراسة فقه اللغة، ص177.

في لغة واحدة"¹، ومن أمثلته "(الصريخ: صوت المستصرخ، والصريخ: المغيث، وأكرى: زاد، وأكرى: نقص)"².

فالتضاد هو معنيين لكلمة الواحدة بالنقيض؛ وهو من أسمى الخصائص التي انفردت بها اللغة العربية.

6.3. التعريب:

هو نقل لفظة من لغة ما إلى اللغة العربية بإعادة كتابة حروف تلك اللغة بأحرف اللغة العربية،"و كان هذا دأب العرب في جاهليتهم، تجري على ألسنتهم بعض الألفاظ، التي يحتاجون إليها، من لغات الأمم المجاورة لهم، بعد أن ينفخوا فيها من روحهم العربية"³.

وما نلخص إليه أن اللغة العربية لغة القرآن، لغة لا تموت لأنها محفوظة في كتاب مقدس لا يمسه إلا المطهرون، وهي أعرق وأرقى وأسمى اللغات، ويكفينا فخرا أن لها خصائص تنفرد بها عن باقي اللغات .

4- لمحة عن المقدمة:

"وضع كتابه المشهور (العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، و هو ثلاثة كتب في سبعة مجلدات و الكتاب الأول المعروف "بمقدمة ابن خلدون" فضل شهرته عند العرب و الغرب كذلك ، لاشتماله على أبحاث مبتدعة و منوعة، و تنقسم هذه المقدمة إلى ستة فصول، الأول في النشوء و الارتقاء، و الثاني في الاجتماع، و الثالث في السياسة العملية، و الرابع في

¹ جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص 336.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 392.

³ رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، ط6، القاهرة، مصر، سنة 1999م، ص 359.

الهندسة الحربية، و الخامس في الاقتصاد السياسي، و السادس في تاريخ آداب اللغة العربية، فهي خزانة علم وأدب فضلا عن أسلوبها الرشيق المنسق¹.

"تعتبر المقدمة واحدا من أهم زخائر التراث، و نوادر الفكر، و نفائس الإبداع التي أثرى بها العلماء المسلمون الفكر الإنساني، و لقيمة هذا الكتاب احتفى به من جاء بعد ابن خلدون من عرب و عجم، و ظل موضوعا للدراسة و مادة للمناقشة، و الأخذ و الرد، و النقد و الإشادة"².

"تحتوي المقدمة آراء و ملاحظات كثيرة عن التربية و التعليم، و هي مدونة في فصول خاصة في الباب السادس- باب العلم و التعليم- و المؤلفات الباحثة في تاريخ التربية بوجه عام، و تاريخ التربية عند العرب بوجه خاص في التراث تشير إلى آراء ابن خلدون"³.

و ما ألفه ما هو دليل إلا على سعة إطلاعه في اللغة العربية و آدابها، و قوة تمكنه و عظمة فكره أهدتنا هذه النظرة التعليمية التي تجلت فيها الأصالة و المعاصرة.

ينظر: أحمد حسين الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، د.ط، الفجالة، القاهرة، مصر، ص 411¹.

² عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق أحمد جاد، دار اللغة الجديد، ط1، القاهرة، مصر، سنة 2014، ص 7.

³ ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار المعارف، د.ط، القاهرة، مصر، سنة 1953، ص 437.

الفصل الأول: اللغة والملكة والنحو عند ابن خلدون

أولاً: اللغة عند ابن خلدون

1. مفهوم اللغة عند ابن خلدون.
2. اكتساب اللغة عند ابن خلدون.
3. اللغة والمجتمع عند ابن خلدون.

ثانياً: الملكة عند ابن خلدون

1. مفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون.
2. اكتساب الملكة اللسانية عند ابن خلدون.
3. الذوق اللغوي عند ابن خلدون.
4. الملكة اللغوية غير صناعة العربية عند ابن خلدون.

ثالثاً: النحو عند ابن خلدون

1. مفهوم النحو عند ابن خلدون.
2. علاقة النحو بالإعراب عند ابن خلدون.
3. دور الكتب النحوية في خدمة اللسان العربي عند ابن خلدون.

أولاً: اللغة عند ابن خلدون

اهتم ابن خلدون باللغة لأنها هي الوسيلة التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، وتعددت مواطن الكلام عليها في مقدمته لأهميتها عنده، لأنها الرابط الذي يجمع بين أفراد المجتمع الواحد .

1- مفهوم اللغة عند ابن خلدون:

لم تكن نظرته بعيدة عن سابقه؛ فقد عرفها في بداية فصل -علم النحو- قائلاً:
 " اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، و تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها، و هو اللسان، و هي في كل أمة بحسب اصطلاحاتها"¹.

فباللغة عنده:

* معبرة عن قصد المتكلم:

فللمتكلم آراء وأحاسيس يريد أن يوصلها إلى الطرف الآخر، وتكون اللغة هي الوسيلة الوحيدة لذلك. وبين هذا في موطن آخر؛ في قوله: " وكل منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصوده والإبانة عما في نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة"².

* الكلام مقصود لإفادة السامع:

هو عبارة عن أصوات نطقية تخرج لإفادة السامع عن طريق اللسان، حيث يقول تمام حسان "إن الدراسة اللغوية للكلام تجعله حتى على المستوى الصوتي على صلة باللغة

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 548.

²المصدر نفسه، ص559.

ولابد أن يكون كذلك من حيث قصد به يدل على معنى¹، فالكلام صورة للمعاني اللغوية.

* عبارة عن ملكة:

وللتأكيد على هذا من خلال قوله في موضع آخر: " هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الأمر أنها جبلة و طبيعة"²، فهي عبارة عن ملكة لسانية تمكنت ورسخت في اللسان، حتى تظهر للمستمع أنها مكتسبة بالطبيعة. و تعريفه السابق قريب جدا من تعريف ابن جني؛ الذي عرفها: "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"³.

فكلاهما اعتبر اللغة نشاط إنسانيا مكتسبا، وهي وسيلة من وسائل الاتصال بين أفراد الأمة الواحدة .

و قد حددها من جانبيين: طبيعتها التي هي " فعل لساني" وبين وظيفتها التي هي أداة تواصل بين أفراد المجتمع، و هذا ما يؤكد فندريس بقوله: "في أحضان المجتمع تكونت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم"⁴.

فاللغة عند ابن خلدون هي وسيلة اتصال بين أفراد المجتمع غايتها تلبية الحاجات الفردية.

¹ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، دط، الدار البيضاء، المغرب، سنة 1994م، ص 33.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 562.

³ ابن جني: الخصائص، ج1، ص 33.

⁴ ج. فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، دط، القاهرة، مصر، سنة 1950م، ص 35.

ويؤكد على عرفيتها حين ذكر أن لكل أمة اصطلاحاتها الخاصة بها، يكتسبها الفرد من المحيط الخارجي، على عكس ابن فارس الذي يعتبر نشأتها بالوحي والإلهام في قوله: "إن لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله جل ثناؤه: **وَمَلَّمَ أَحَدَهُ الْأَسْمَاءَ حَلْمًا**"¹، أما مذهب المحاكاة فكان لابن جني رأي فيه.

ولم يحدد زمن وضعها لأن ذلك عنده مجهول؛ من خلال قوله: "واعلم أن النقل الذي تثبت به اللغة إنما هو النقل عن العرب أنهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني لا نقل إنهم وضعوها لأنه متعذر وبعيد ولم يعرف لأحد منهم"².

و يشير في موضع آخر لوظيفة اللغة في قوله: " اللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم وممارسة البحث بالعلوم لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك"³.

فابن خلدون يعتبر اللغة مبلغة عما في الضمائر ومصورة عما في النفوس، وهي وسيلة اتصال تؤدي بالمشافهة، واكتسابها يكون عن طريق التكرار والمران.

وقد أشار لنا الحصري في تعدد مصطلحاته بقوله: "إن ما نسميه اليوم اللغة الفصحى فتسميتها عند ابن خلدون (لغة مضر) و(لسان العرب) و(اللسان العربي)، وما نسميه اليوم (باللغة العامية) فكان يشير إليها (بلغة الأمصار) و(لغة الجبل) و(لغة العرب لهذا العهد)"⁴.

¹ ابن فارس: الصاحبى في فقه اللغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، سنة 1997م، ص 6.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 551.

³ المصدر نفسه، ص 546.

⁴ ينظر: ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص 460.

2- اكتساب اللغة عند ابن خلدون:

من أهم الظواهر التي تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته ظاهرة اكتساب اللغة، و قد خصص في ذلك فصلا بعنوان " في تعلم اللسان المضرى "، و يمر اكتساب اللغة عنده بثلاث مراحل؛ وهي كالآتي:

1.2. كثرة الحفظ و جودة المحفوظ:

طريقة اكتساب اللغة الفصحى عند ابن خلدون؛ "هو حفظ كلام العرب القديم بجعل القرآن الكريم و الحديث الشريف من أول ما ينبغي أن يحفظ، ثم يأتي بعد ذلك كلام السلف عامة، ثم كلام فحول العرب، شعرا كان أو نثرا، و لم يستثن كلام المولدين"¹. يقول في هذا: " لمن يبتغي هذه الملكة و يروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن و الحديث و كلام السلف و مخاطبات فحول العرب في أسجاعهم و أشعارهم و كلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم و المنثور منزلة من نشأ بينهم و لقن العبارة عن المقاصد منهم"². يرى أن الطريقة الصحيحة لاكتساب اللغة العربية؛ حفظ كلام العرب القديم الجاري على أسنتهم حتى يتخلص من العامية التي نشأ عليها، و بذلك يتقن اللغة العربية كأنه عاش بينهم.

و"يرى لكمية المحفوظ و نوعيته أثر في امتلاك اللغة الفصحى، إذ كلما كان المحفوظ جيدا كثيرا كانت الملكة أجود"³؛ في قوله: " و على قدر المحفوظ و كثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما و نثرا"¹.

¹ ينظر: أحميدة العوني: التعليم المفيد عند ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، سنة 2015م، ص 56.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 559.

³ ينظر: أحميدة العوني: : التعليم المفيد عند ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر، ص 559.

لكن الحفظ وحده عند ابن خلدون لا يكفي لاكتساب ملكة اللغة العربية بل يتطلب عملية الفهم.

2.2. الفهم:

لا بد من امتلاك اللغة العربية من أمر هام و هو الفهم، فهو الذي يمكن الحافظ من استعمال ما حفظه بالشكل الصحيح، و يشير إلى مسألة الفهم قائلا: "... ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم، و تأليف كلماتهم، و ما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة لهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتها رسوخا و قوة، و يحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال"².

إن الفهم عند ابن خلدون هو الذي يحقق حسن التصرف في الملكة، واستعمالها في موضعها الصحيح بمراعاة مقتضى الأحوال، وما الحفظ إلا وسيلة لاكتسابها.

3.2. الاستعمال:

يقول فيه : "... ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم، و تأليف كلماتهم، و ما وعاه و حفظه من أساليبهم و ترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ و الاستعمال"³.

"إن الحفظ و الفهم غير كافيين عند ابن خلدون لحصول الملكة اللغوية، فالمتعلم الذي لا يستعمل ما حفظه و فهمه لا يملك ملكة اللغة ، و جعل الاستعمال حدا فاصلا بين

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 560.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 559، 560.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، ص559.

صناعة اللغة العربية و ملكة اللغة العربية"¹، فالاستعمال الفعلي للكلام نجده حاصلًا في الملكة اللغة العربية وغير موجود في صناعة اللغة العربية.

3- اللغة والمجتمع عند ابن خلدون:

" قال الحكماء إن الإنسان مدني بطبعه"²؛ فهذا يعني أن الإنسان منذ ولادته يميل

للتواصل مع مجتمعه، وهذا التواصل يكون عن طريق اللغة. لهذا أدرك ابن خلدون العلاقة والصلة الوثيقة بين اللغة والمجتمع؛ لأن اللغة مرآة تعكس المجتمع وتعكس أحواله وتحمل عاداته ومشاعره وأنماط سلوكه وأخلاقه.

موضحا هذا في قوله: " ذلك أن النفس وإن كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي

تختلف في البشر بالقوة والضعف في الإدراكات واختلافها إنما هو باختلاف ما يرد عليها من الإدراكات والملكات والألوان التي تكيفها من الخارج"³.

فاختلاف الملكات عند ابن خلدون، باختلاف ما يطرأ عليها، فالناس خلقوا على نفس واحدة وطبيعة واحدة، و إنما التغيير يكون من تأثر الفرد بلغة المجتمع.

"الفرد يؤثر في اللغة التي يتكلمها أفراد المجتمعات الصغيرة والكبيرة التي ينتمي إليها، كما تؤثر اللغة السائدة في تلك المجتمعات في لغته أو لهجته الخاصة"⁴، "ولكل بيئة مصطلحات خاصة بها كلغة الاسكيو استعمالهم لمفردات الثلج المختلفة ولغة العرب استعمالهم للجمل والسيف"⁵.

فكانت فكرة ابن خلدون فكرة مسلم بها في الدراسات الحديثة، كما يقول علي عبد

الواحد وافي: "إن اللغة في شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى عرضة للتطور

¹ أحמידة العوني: التعليم المفيد عند ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر، ص 66.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 53.

³ المصدر نفسه، ص 587.

⁴ نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، سنة 1978م، ص 176.

⁵ نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 54

المطرّد في مختلف عناصرها، و انتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها، و يسمو بأساليبها و يوسع نطاقها، و يزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة¹.
 أما عن مصطلح المجتمع في حد ذاته فقد أطلق عليه تسمية " العمران البشري " في قوله: " لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران "².
 وهذا الاجتماع البشري ضروري، لحاجة الناس لبعضهم وبدون مجتمع لا يستطيع الإنسان تلبية حاجاته؛ في قوله: " هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني و إلا لم يكمل وجودهم و ما أراده الله من اعمار العالم بهم و استخلافه إياهم و هذا هو معنى العمران "³.

إذن فمعنى العمران عنده مصطلح يشمل مظاهر الحياة من استقرار ووطن وتحضر...
 "توصل ابن خلدون إلى التأكيد بان سبب تفوق أبناء المشرق العربي على إخوتهم أبناء المغرب العربي في مجال العلوم اللسانية هو الحضارة والعمران"⁴؛ ودليل ذلك قوله: "فالمشاركة على هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه والله أعلم أنه كمال في العلوم اللسانية والصنائع الكمالية توجد في وفور العمران، والمشرق أوفر عمراناً من المغرب"⁵.

فالعلم عنده طبيعي في العمران البشري، يتطور ويزدهر بازدهار وتطور المجتمع. وحدد ابن خلدون عاملين أساسيين لانتشار اللغة داخل المجتمع وتأثرها به وهما:

¹ علي عبد الواحد وافي: اللغة و المجتمع، مكتبات عكاظ، ط4، جدة، السعودية، سنة 1983م، ص 13.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 53.

³ المصدر نفسه، ص54.

⁴ فضل الله: اللغة والأدب عند ابن خلدون، (مجلة)، القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع16، سنة2009م، ص 138.

⁵ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 53.

1.3. الدين:

في قوله: " و ربما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر و الشام و الأندلس و المغرب لبقاء الدين طلبا لها فأنحفظت بعض الشيء، و أما في ممالك العراق و ما وراءه فلم يبقى له أثر و لا عين"¹؛ فلولا حفظ القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة للغة العربية لاختلفت بالعجمة و بعدت عن فصاحتها.

"قالدين عند ابن خلدون عامل أساسي في الحفاظ على اللغة و هو الروح التي تسري بينهم و أعظم الهزات الاجتماعية في حياة الشعوب شرقا و غربا كانت بسبب الدين"².

2.3. السلطة:

يقول: " وكذا أهل الأندلس مع عجم الجلائقة و الإفرنجية، و صار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر و يخالف أيضا بعضها بعضا كما نذكره و كأنها لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم"³.

اللغة تتأثر بلغة السلطة الحاكمة و هذا ما حدث للأندلس، و الحكام إذا أرادوا السيطرة على دولة ما يبدؤون باللغة لأنها أهم مقوم في الدولة.

"و كلما امتلك الحكام تلك الوسيلة المؤثرة حققوا ما يريدون من إفهام الناس ما يقومون به، و تأكيد الشخصية و الملك"⁴.

فاللغة عند ابن خلدون و وثيقة الصلة بال عمران البشري، تتأثر بأحواله و ظروفه و سلطته و دينه، و بكل تغيراته فأي تغيير في المجتمع ينعكس على اللغة.

ثانيا: الملكة عند ابن خلدون

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 354.

² ينظر: محمد عيد: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، د.ط، القاهرة، مصر، ص 89.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 559.

⁴ ينظر: محمد عيد: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص 25.

توسع ابن خلدون في حديثه عن الملكة، ووصفها بدقة عجيبة خالفت سابقيه وتعتبر من أهم المصطلحات التي طرحها في مقدمته، حيث قسمها إلى قسمين ملكة عامة متعلقة بتعلم المهارات والصنائع، وملكة خاصة متعلقة باللسان تدعى الملكة اللسانية.

1- مفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون:

يقول: " والملكة صفة راسخة تحصل من استعمال ذلك الفعل و تكرره مرة بعد أخرى وحتى ترسخ صورته، و على نسبة الأصل تكون الملكة "1. و في موطن آخر: " والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً و تعود منه للذات صفة، ثم تكرر فتكون حالاً، و معنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة "2.

تتكون الملكة لدى ابن خلدون بالتكرار إلى أن تصبح عادة أو طبع حتى يظنها المشاهد طبيعة.

أما عن الملكة اللسانية فقد عرفها في قوله: " اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة على المعاني و جودتها و قصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها و ليس ذلك بالنظر للمفردات و إنما هو بالنظر إلى التراكيب "3.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 555.

² المصدر نفسه، ص 555.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، ص 555.

فبداية شبه تعلم اللغة أو اكتسابها كتعلم الصناعة، "ولعل ابن خلدون قد تأثر حول إلغاء الموهبة بابن طباطبا في كتابه عيار الشعر حيث رأى أن الإبداع لا يتشكل من الموهبة أو اللاوعي وإنما من الوعي القائم على التعليم"¹.

"وتمامها بالنظر إلى تراكيبها اللغوية لا بالنظر إلى مفرداتها ليتحقق بها الإفهام الصحيح ويراعى في تأليفها المطابقة لمقتضى الحال"².

إذن فالملكة اللسانية عند ابن خلدون هي تعلم واكتساب لغة ما بالتركرار حتى ترسخ على لسان المتعلم، ويصبح بعد ذلك بمقدوره التعبير بها وإجادة تراكيبها لا مفرداتها.

2- اكتساب الملكة اللسانية عند ابن خلدون:

يمر اكتساب الملكة اللسانية عند ابن خلدون بثلاث مراحل؛ بداية تكون عن طريق سماع الطفل للغة المحيط الذي يعيش فيه ، ثم تأتي مرحلة الممارسة والتكرار وترديد الكلمات المسموعة، وبعد ذلك يكون بمقدوره حفظ واكتساب ملكة لسان محيطه.

1.2. السماع:

يقول الله تعالى: " **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَالْأَفْئِدَةَ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** " *

اهتم به ابن خلدون اهتماما كبيرا في مقدمته، حيث جعله " أبو الملكات "³، و يرى أن الطفل يكتسب لغة محيطه الاجتماعي الذي ربي و نمى فيه من خلال هذه الحاسة.

* سورة: النحل، الآية: 87

¹ فضل الله: اللغة والأدب عند ابن خلدون، ص136.

² محمد عيد: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص 25.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 548.

و دليل ذلك في قوله: " فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله و أساليبهم في مخاطبتهم و كيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة و من كل متكلم و استعمالهم يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة و صفة راسخة و يكون كأحدهم"¹.

نلاحظ مدى تأثير البيئة عند ابن خلدون في عملية اكتساب اللغة التي بإمكان الطفل تعلم أي لغة يسمعها بالمعايشة اليومية،" و تكون عملية اكتساب اللغة كملكة لسانية بالفطرة عكس تعلم اللغة الذي يشمل تعلم القواعد و القوانين الضابطة لهذه اللغة"².
"و نجاح الطفل في تكوين و بناء قواعد لغته الوطنية على مدى من الكلام الذي يسمعه من حوله"³.

حيث يبدأ الطفل بالكلمات المفردة و ينتهي بجمل و تراكيب منتظمة، ثم تأتي الطريقة الثانية و هي الممارسة و التكرار .

2.2. الممارسة و التكرار:

أطلق عليه عبد السلام المسدي بمبدأ الارتياض بالمعاودة، "أي أن الملكة تنتج من تكرار الأفعال بداية مضروباً في الزمن"⁴، يقول ابن خلدون في هذا: " و الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً و تعود منه للذات صفة تتكرر فتكون

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 555.

² ينظر: باسم يونس البديرات: الفكر اللغوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة المعاصر، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة مؤتة، الأردن، سنة 2007م، ص 60.

³ جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، مصر ، سنة 1985م، ص 263.

⁴ ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، تونس ، سنة 1986م، ص 226.

حالا و معنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار، فتكون ملكة أي صفة راسخة¹.

رغم أنه لم يستعمل مصطلح الممارسة لكن نفهم من قوله قصد الممارسة، "لأن التكرار عملية نمطية دون تغيير ملحوظ، أما الممارسة يكون فيها تحسن تجريبي"². بداية يركز على تكرار الفعل لأنه ضروري بالنسبة للطفل، و بعد ذلك يكرر مسميات عرضية لم تثبت بعد و بالتكرار تصبح ملكة راسخة.

3.2. الحفظ:

أدرك ابن خلدون أهمية حفظ كلام العرب لتحصيل ملكة اللغة العربية، و هو الكلام الجاري على ألسيبيهم، و يشمل القرآن الكريم، و الحديث النبوي الشريف، و كلام السلف، و مخاطبات فحول العرب في شعرهم و نثرهم؛ يقول: " و وجه التعليم لمن يتغنى هذه الملكة و يروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على ألسيبيهم من القرآن و الحديث و كلام السلف و مخاطبات فحول العرب في أسجاعهم و أشعارهم و كلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم و المنثور منزلة من نشأ بينهم و لقن العبارة عن المقاصد منهم"³. "وإن فقد سماع اللغة العربية الفصيحة من المحيط الطبيعي فثمة طريق آخر، هو حفظ النصوص الجيدة شعرا ونثرا وعلى رأسها القرآن الكريم، فلا بد من كثرة الحفظ ومداومة الاستعمال"⁴.

فالملكة اللغوية الفصيحة تتكون بسماع اللغة العربية عن طريق التكرار إلى أن يتمكن منها المستمع، ويصبح كأنه واحد منهم بحفظ كلامهم.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص555.

² فائدة صبري الجوهري: المدخل لعلم النفس التربوي، الطائف، السعودية، د.ط، سنة 2011م، ص 66.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 559.

⁴ ينظر: باسم يونس البديرات: الفكر اللغوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة المعاصر، ص 66.

3- الذوق اللغوي عند ابن خلدون:

بعد اكتساب الملكة اللسانية تتكون لدى مستعملها قدرة تمكنه من التمييز بين الكلام الصحيح والكلام الخاطئ ، وهي "المعرفة الفطرية التي لا تحتاج إلى مقدمات"¹.
و هذا ما دعاه ابن خلدون بالذوق؛ في قوله: " لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه، وأيضا فهو وجداني اللسان كما أن الطعوم محسوسة له فقليل له ذوق"².
أطلق عليها اسم الذوق لأنه يعطي الحكم على الطعام دون قوانين تحكمه، فكذلك الحدس اللغوي يعطي الحكم على الصحة والخطأ للتراكيب اللغوية بالسليقة والفطرة.
ويقول في موضع آخر كذلك: " و إذا عرض عليه الكلام حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه و مجه علم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم، و إنما يعجز عن الاحتجاج بذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانية فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء، و هذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم"³.
"و ذاك النظام هو الذي يسمح بإدراك محتوى الكلام دلاليا مهما كانت جدة الصياغة التركيبية التي أفرغ فيها"⁴.
"فكأن صاحب الملكة قد نشأت لديه حاسة حدسية أو حدس لغوي ناجم عن معرفته الضمنية بقوانين اللغة يمكنه من الحكم على جملة ما إن كانت من جمل لغته الصحيحة أم لا و هذه الملكة قد اكتسبها بصورة طبيعية تلقائية من بيئته التي ترعرع فيها، بينما

¹ فريدة الشنان ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي، ص 80.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 563.

³ المصدر نفسه، ص 562.

⁴ ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 20.

يمكن للنحاة الحكم على جملة ما بالصواب أو الخطأ بواسطة معرفتهم المباشرة بالقوانين التي استقرؤوها عبر دراستهم للغة¹.

"والأعاجم في نظره لا تحصل لهم هذه القدرة الفطرية لقصور حظهم فيها، ومن عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب، فليس تحصيل الملكة في شيء، وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتیاد والتكرار لكلام العرب"².

وقوله هذا يوضح ذلك: " وإذا تبين لك ذلك علمت منه أن الأعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئین عليه المضطرين إلى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترک بالمشرق وكالبربر بالمغرب فإنه لا يحصل لهم لهذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة"³.

وأشار إلى أن سيبويه والفراسي و الزمخشري رغم أنهم أعاجم لكن هذه ملكة مستحكمة عندهم لأنهم أعاجم النسب فقط وليس المنشأ؛ في قوله: " فإن عرض لك ما تسمعه من أن سيبويه و الفراسي و الزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا عجا في نسبهم فقط"⁴.

فالأعجمي عند ابن خلدون ليس أعجمي المربي والمنشأ بل أعجمي اللسان، و ملكة الذوق لا تسبقها ملكة أخرى في اللسان، وان سبقتها نقل الثانية، حتى ولو تعلم كلام العرب فيما بعد فإنها لا تحصل إلا عن طريق الفطرة والسليقة.

¹ أسماء بنت إبراهيم الجوير: الفكر اللساني التربوي عند ابن خلدون، رسالة ماجستير، كلية الاداب قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، السعودية، سنة 2009، ص 11.

² ينظر: محمد عيد: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص 83.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 563.

⁴ المصدر نفسه، ص 563.

4- الملكة اللغوية غير صناعة العربية عند ابن خلدون:

فرق ابن خلدون تفريقاً تاماً بين الملكة اللغوية و بين صناعة العربية؛ في قوله: " والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة و مقاييسها خاصة. فهو علم بكيفية لا نفس الكيفية...، و إنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً و لا يحكمها عملاً مثل أن يقول بصير بالخياطة، غير محكم لمكنتها، في التعبير عن بعض أنواعها: الخياطة هي أن تدخل الخيط في خرت الإبرة ثم تغزرها في لفقي الثوب مجتمعين و نخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا ثم تردّها إلى حيث ابتدأت، و تخرجها قدام منفذها الأول بمطرح ما بين الثقبين الأولين ثم يتمادى على وصفه إلى آخر العمل و يعطي صورة الحبك و التثبيت و التفتيح، و سائر أنواع الخياطة و أعمالها. و هو إذا طوّل أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً... و هكذا العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل و ليس هو نفس العمل"¹.

"و هناك فرق بين ما يعتاده المتكلم من نظم اللغة التي يقيس عليها وما يفعله علماء النحو من وضع القواعد و القوانين، الأول يحدث دون قصد و تعمد، أما الثاني فنية العمد فيه واضحة مقصودة، الأول يتعوده الشعور حتى يصبح عادة من عاداته كالمشي و الطعام، و الآخر مقاييس محددة موضوعة للاكتساب و الفهم الأول انعكاس الاستعمال على ناطق اللغة، و الثاني آراء الدارسين المقننة لمن يستعمل اللغة"².

فالملكة اللسانية عنده هي معرفة استخدام تلك القوانين وليست القوانين في حد ذاتها، و ضرب مثلاً على من درسوا النحو في عصره في قوله: " وكذلك تجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل في

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 560.

² ينظر: محمد عيد: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص 31.

كتابة سطرين إلى أخيه أو في مودته أو شكوى ظلامه أو قصد من مقصوده خطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود فيه أساليب اللسان العربي"¹.

و يؤكد ذلك فندريس في قوله: "الإنسان يتبع القياس دائما في كلامه و ما جداول التصريف و الإعراب التي تذكر في كتب النحو إلا نماذج يطلب إلى التلميذ محاكاتها"². لقد اعتبر فندريس أن اللغة قياس متبع، و ليس قوانين الإعراب و التصريف و هذا ما رآه ابن خلدون أن ملكة اللسان العربية غير صناعة العربية.

ثالثا: النحو عند ابن خلدون

يرى ابن خلدون أنه بعد شيوع اللحن ونقشي العجمة في الأوساط العربية نشأ علم يضبط هذا الفساد سمي "بعلم النحو"؛ وقد أولاه الأسبقية في العلوم اللسانية الأربعة

1- مفهوم النحو عند ابن خلدون:

لم يضع ابن خلدون تعريفا مباشرا لعلم النحو لكن من خلال حديثه في باب " علم النحو " قد أشار إليه، و جعل له أسبقية عن علم اللغة. في قوله: " والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو، إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول و المبتدأ من الخبر، و لولاه لجهل أصل الإفادة، و كان من حق علم اللغة التقدم، لولا أن كثرة الأوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الإعراب الدال

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 560

² ج. فندريس: اللغة، ص 205.

على الإسناد و المسند إليه ... فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة و ليست كذلك اللغة¹.

قدمه لأن "مقياس الموازنة ذو بعد وظيفي فعلم النحو سابقا لعلم اللغة سبقا اعتباريا لا سبقا زمنيا"².

استخدم ابن خلدون في حديثه عن النحو ثلاث مصطلحات -علم النحو، صناعة العربية، علم العربية-، المصطلح الأول هو الأكثر استعمالا عنده، و كلمة صناعة لم تغادر مقدمته لما لها علاقة بالعمران.

وجاء مفهوم النحو عنده كالتالي: " فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع"³.

إذن فمضمون هذا التعريف؛ النحو هو عبارة عن قوانين مستنبطة من كلام العرب، "وبهذا الاعتبار تنصب العملية النحوية في اشتقاق القوالب الذهنية المجردة وهي التي يطلق عليها ابن خلدون أدق ما عرف لها من مصطلحات ألا وهو الكليات"⁴.

وقد اعتبر أن النحو من العلوم التي لا يجب التوسع فيها أثناء تدريسها، لأنها آلة لغيرها من خلال قوله، قسم العلوم إلى صنفين: " علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقهاء و علم الكلام وكالطبيعيات و الإلهيات من الفلسفة و علوم

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 547.

² ينظر: عبد السلام المسدي: قضايا في العلم اللغوي، ص 167.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 548.

⁴ عبد السلام المسدي: قضايا في العلم اللغوي، ص 161.

هي آلة و وسيلة لهذه العلوم كالعربية و الحساب و غيرهما للشرعيات و كالمنطق للفلسفة¹.

إذن فالنحو عند ابن خلدون صناعة لها قوانين تحكمها وهو وسيلة للحفاظ على اللغة.

2- علاقة النحو بالإعراب عند ابن خلدون:

جاء مفهوم النحو مساو لمفهوم الإعراب في كثير من كتب النحو، لكن ابن خلدون فرق بينهما وأدرك أن الإعراب جزء من النحو؛ من خلال قوله: " ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا ... وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو"².

و هذا الرأي قريب كذلك من رأي ابن جني في قوله: "انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره ..."³. الذي جعل الإعراب جزء من النحو.

فالإعراب عند ابن خلدون جزء لأنه يدرس أواخر الجملة، بينما النحو كل لأنه يدرس تركيب الجملة، فالإعراب إذن جزء من النحو.

والإعراب عنده لا يرتبط باللفظ بقدر ارتباطه بالمعنى؛ من خلال قوله: " كانت الملكات الحاصلة للعرب في ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف"⁴.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 538.

² المصدر نفسه، ص 548.

³ ابن جني: الخصائص، ج1، ص34.

⁴ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص548.

وكذلك يقول في هذا ابن فارس اللغوي : " فأما الإعراب فيه تميز عن المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين؛ وذلك أن قائلًا لو قال : (ما أحسن زيد) غير معرب؛ لم يوقف على مراده. فإذا قال: ما أحسن زيداً، أو ما أحسن زيداً، أو ما أحسن زيداً استفهام أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني"¹.

فالإعراب هو الذي يحدد المعنى المقصود في الجملة وليس النحو، واقتصرت هذه الظاهرة على اللغة العربية فقط دون سائر اللغات ؛ ودليل ذلك في قوله: " الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال أي الحركات إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب"².

3- دور الكتب النحوية في خدمة اللسان العربي عند ابن خلدون:

نظر ابن خلدون إلى هذه القضية في إطار نظريته للملكة اللسانية؛ رافضاً للقواعد النحوية دور في تكوين الملكة اللسانية، و اعتبر أن كتب النحو التي تخدم اللسان العربي هي الكتب التي تحوي كلام العرب من المنظوم و المنثور، ككتاب سيبويه أما كتب النحو المتأخرة فهي كتب همها صناعة الإعراب لا غير. كما يقول: " فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل، و بعدت عن مناحي اللسان و ملكته، و ما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان و تراكيبه وتميز أساليبه و غفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم، فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللسان،

¹ ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 191.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 548.

وتلك القوانين إنما هي وسائل للتعليم، لكنهم أجروها على غير ما قصد بها وأصروها علما بحتا، و بعدوا عن ثمرها¹.

والطريقة الأصح في نظره هي التي اتبعها أهل الأندلس في تعليمهم للغة العربية؛ في قوله: " و أهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها ممن سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم فيسبق إلى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التعليم"². لأن شواهد العرب و أمثالها هي التي تحصل اللسان العربي وليس القوانين الجاهزة. وأشار إلى المتأخرين المولوعين بالاختصار، وما يترتب على هذه الكتب من ملكة قاصرة في قوله: " وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية و الخونجي في المنطق وأمثالهم، و هو فساد في التعليم و فيه إخلال بالتحصيل لذلك"³.

وعلى عكسها في كثرة التأليف من فروع وآراء وجدل وغيرها فإنها تزيد الأمور تعقيدا وعسرة؛ في قوله: " اعلم انه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها... و يمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة مثلا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس و اللخمي وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتبية"⁴.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، ص 535.

² المصدر نفسه، ص 561.

³ المصدر نفسه، ص 535.

⁴ المصدر نفسه، ص531.

"إذا تأملنا ما كتبه ابن خلدون في هذا الصدد تأييدا لقوله نضطر إلى التسليم بأنه كان مصيبا في نقده هذا وذلك لأن العرف كان يحتم على الطلاب درس وحفظ جميع تلك المؤلفات"¹.

- تعليم القواعد النحوية هي أبرز مراحل اللغة العربية، وحملت صفة الصعوبة منذ القديم لنفور المتعلم منها لهذا نظر ابن خلدون بأن يكون تعليمها تطبيقي بالاستعمال الفعلي لها وليس بالتنظير فقط؛ ودليل ذلك في قوله: " و قد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيرا بحال هذه الملكة، وهو قليل واتفاقي، وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه، فإنه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط. بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم، فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فتجد العاكف عليه والمحصل له، قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محفوظه في أماكنه ومفاصل حاجته، وتنبه به لشأن الملكة ، فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الإفادة"²

وهذا ما طالب به الفكر الحديث في تخصيص حصص كاملة للقواعد النحوية فيه مضيعة لوقت الطالب لأن الاستفادة منها تكون في التطبيق الفعلي لها كما يقول عبد العليم إبراهيم: "يرى بعض المربين أنه يمكن الاستغناء عن تدريس القواعد النحوية في حصص مستقلة...لأن تخصيص حصص لدروس القواعد ضرب من العبث ومضيعة لوقت التلاميذ وجهودهم بدون جدوى"³.

أفضل الطرق التعليمية في تعلم اللسان العربي عند ابن خلدون تعليم النصوص الأدبية، بحفظ كلام العرب من شعر ونثر وليس الاقتصار على تلقين القواعد النحوية فقط.

¹ ينظر/ ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص 482.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 561.

³ عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، ص 203.

خلاصة :

فقد ظهر لنا مما تقدم في هذا الفصل:

أن اللغة عند ابن خلدون ملكة صناعية تكتسب عن الطريق الحفظ ثم الفهم فيحصل بعد ذلك الاستعمال، وهي على علاقة وطيدة بالمجتمع ترتقي برقيه وتنحط بانحطاطه. والملكة اللسانية هي صفة راسخة تكتسب عن طريق السماع ثم التكرار فيحصل بعد ذلك الحفظ، وتتكون بعد ذلك ملكة تدعى بالذوق وبها نحكم على الكلام بالصحة والخطأ، وهي غير صناعة العربية.

أما عن النحو فعند ابن خلدون قوانين مستنبطة من كلام العرب جاءت لحفظ اللسان من اللحن، وهي غير قواعد الإعراب لأن الإعراب جزء منها، ودور الكتب النحوية التي تحفظها لا يكون مجدياً إلا إذا درست مع أمثلة وشواهد من كلام العرب.

الفصل الثاني: العملية التعليمية عند ابن خلدون

أولاً: عناصر ومراحل التعليم عند ابن خلدون

1. عناصر العملية التعليمية.
2. مراحل التعليم عند ابن خلدون.

ثانياً: مهارات وطرق التعليم عند ابن خلدون

1. مهارات التعليم عند ابن خلدون.
2. طرق التعليم عند ابن خلدون.

ثالثاً: أهداف ونقائص التعليم عند ابن خلدون

1. أهداف التعليم عند ابن خلدون.
2. نقائص التعليم عند ابن خلدون.

أولاً: عناصر و مراحل التعليم عند ابن خلدون

1- عناصر العملية التعليمية:

ظاهرة التعلم والتعليم تفترض وجود شروطا للمعلم والمتعلم والمحتوى لكي تحقق غايتها، وبالرغم من أن ابن خلدون لم يضع فصلا في شروطها ، فقد حاول محاولة جادة في وضع شروط لكل عنصر من عناصرها؛ فكانت كالتالي:

أ/ المعلم:

يشير ابن خلدون أن للمعلم دور هام في العملية التعليمية، وهو سندها وبقدر ما يكون المعلم قادر ومتمكن بقدر ما تكون النتيجة محققة ووضع له شروط وهي:

1. الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه:

يقول في هذا الشأن: " وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة، وحصول ملكته ¹ فالمعلم عند ابن خلدون له تأثير كبير في التربية فخبرة سنواته تسهل على المتعلم مشقة البحث، وتوجيهه أحسن توجيهه ويجب على المعلم أن يمتلك كفاية نظرية وتطبيقية في مجال التعليم لكي يستولي عليه، ويتمكن منه وهذا ما نقره المناهج الحديثة في " تمكين المتعلم القدر الكبير من الرصيد المعرفي والإمام بطرق التعليم الجيد" ²، للرفع من مستوى المتعلمين مما تنعكس إيجابا على المنظومة التربوية.

2. حسن اختيار المسائل العلمية للمتعلم:

نبه ابن خلدون إلى معرفة انتقاء المادة التي تلقى للمتعلم وما يستفيد منها ،لأنه من المستحيل أن يلم المتعلم بالرصيد الضخم للمادة الدراسية مهما كانت قدراته؛ وضرب

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص372

² ينظر: ناصر الدين حناشي وآخرون: مخبر الممارسات اللغوية، (مجلة)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع21، سنة 2014م، ص24.

مثال في ذلك على مادة النحو في قوله: "وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، زمن مقدار جهل العوام في كتاب أن كتبه، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به"¹، يرى أن نختار في المسائل النحوية ما يحقق غاية التعليم، أما ما زاد فهو مضيعة لوقت المتعلم. في الفكر التربوي الحديث "المعلم هو المنفذ الرئيسي للمنهاج الدراسي وقدراته تساعده على انتقاء المادة التعليمية لكي ينجح في ضبط الغايات البيداغوجية"².

3. عدم الغوص بعيدا في التجريد والتعميم:

المتعلم لا يستوعب ما يلقى له إلا إذا كانت لديه صورة حسية عنه في محيطه الذي يعيش فيه وخاصة في مراحل الأولى، ويخبرنا في هذا بقوله: "يكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال بالأمثال الحسية"³.

ينبه ابن خلدون على هذه المسألة لأن المتعلم في بدايته لا يستوعب الأمور المجردة. و العلم التربوي الحديث يقر بهذا الأمر ومن هؤلاء علي السمان في قوله: "وأن يستخدم لتقريب اللغة وحفظها الوسائل المعينة كالصور والأفلام وأجهزة التسجيل....الخ، وينتقي منها ما يؤدي وظيفة نفسية أو اجتماعية في حياته"⁴ إذن فكانت نظرة ابن خلدون في تلقين الملموس قبل المجرد نظرة صائبة تراعي القدرة الذهنية للمتعلم.

4. عدم الانتقال من فن إلى فن آخر قبل فهمه:

يؤكد ابن خلدون على ضرورة الانتقال بالطالب (المتعلم) من علم إلى علم جديد إلا بعد التأكد من فهم ما سبقه، "أي أن ابن خلدون هنا يتحاشى الخلط الذي من الممكن أن

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 539.

² ينظر: ناصر الدين حناشي وآخرون: مخبر الممارسات اللغوية، ص104.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص536.

⁴ ينظر: محمود علي السمان: التوجيه في تدريس اللغة العربية، ص54.

يصيب الطالب، و الذي سيؤديه إلى العجز و عدم الفهم و قلة التحصيل"¹؛ وهذا ما يوضحه قوله الآتي: " ... و لا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره، و يحصل أغراضه، و يستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره، لأن المتعلم إن أحصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها ما بقي، و حصل له نشاط في طلب المزيد، و النهوض إلى ما فوق، حتى يستولي على غايات العلم"².

فهذه الطريقة عند ابن خلدون تركز على تنظيم محتوى المعرفة، تنظيماً يتماشى مع قوة الإدراك لدى المتعلم من الجزء إلى الكل، ومن البسيط إلى المركب، ومن المحسوس إلى المجرد، وهذا ما تطالب به المناهج الحديثة يقول علماء التربية: " إن تدريب العقل بمادة من المواد في ناحية من النواحي يجعله قادراً على التفكير في المواد الأخرى ويمكنه الإجابة في كل مادة، وذلك بسبب انتقال أثر التدريب من هذه المادة إلى المواد الأخرى"³.

5. عدم اللجوء إلى العقاب إلا بعد استنفاد سبل المعالجة:

المعلم يجب أن يكون بمنزلة الوالد وأن يكون دقيقاً معه فيرشده وينبئه ولا يلجأ إلى الضرب إلا بعد استنفاد أساليب الوعظ والرحمة⁴، يقول في هذا كذلك: " وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة"⁵ وهذا السلوك نبه عليه

¹ ينظر: فتحة حداد: نقائص التعليم حسب ابن خلدون و الحلول المقترحة من قبله، (مقال)، قسم اللغة العربية و ادابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ص 68.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 536.

³ سناء دراوشة: الفكر التربوي الخلدوني - مقارنة بين الاصلية و المعاصرة-، مؤتمر ابن خلدون، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012م ص 128.

⁴ عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص 15.

⁵ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 542

علماء التربية المحدثون، لأنه يؤدي إلى "زيادة مستوى القلق عند التلميذ وإضعاف الدافع إلى تنشيط وتوجيه السلوك وبذلك يعوق عليه التعلم"¹.

فالعقاب عند ابن خلدون سلوك سلبي يضر المتعلم من نواحي عدة؛ سواء نفسياً وجسدياً أو اجتماعياً، ولذلك يطلب من المعلمين عدم اللجوء إليه إلا في حالة استنفاد جميع السبل.

6.مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:

هي طبيعة إنسانية تظهر في التحصيل الدراسي بشكل كبير في مراحل التعليم المختلفة لذلك يجب على المعلم مراعاتها؛ يقول في هذا الأمر: " في المتعلم تلك الطبيعة التي تنهياً و تزداد استعدادا للفهم و القبول بالتدرج و كلما اكتسبت فنا جديدا أو علما جديدا يزيدها استعدادا لتقبل علوم و فنون أخرى كما تتضح عنده أهدافها ومراميها أيضا بالتدرج"².

وكذلك في موضع آخر: " لا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته"³، فيجب أن لا يطالب المعلم تلاميذه بفهم واستحضار ما ألفه بحسب قدراته فلكل مرحلة سمات فكرية خاصة بها عند ابن خلدون.

تعد هذه الظاهرة من أبرز مشكلات علماء التربية المحدثين، فعلم النفس التربوي الحديث يزود المعلمين بمعارف لتحديد الخصائص النمائية للمتعلمين مما يساعدهم على اختيار الخبرات المناسبة لكل مرحلة عمرية، وكذلك أفضل الأساليب والطرق لتقديمها⁴ و قد قسم عقول البشر إلى ثلاثة أصناف:

¹ ينظر: فائدة صبري الجوهري: المدخل لعلم النفس التربوي، ص51.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 536.

³المصدر نفسه، ص536.

⁴ عماد عبد الرحيم الزغول: مبادئ علم النفس التربوي، ص33.

* عقل تمييزي:

به " تعقل الأمور المترتبة في الخارج ترتيبا طبيعيا أو وضعيا ليقصد إيقاعها بقدرته، وهذا الفكر أكثر تصورات "1.

* عقل تجريبي:

به " يفيد الآراء والآداب في معاملة أبناء جنسه وسياستهم أكثرها تصديقات تحصل بالتجربة شيئا فشيئا إلى أن تتم الفائدة منها "2

* عقل نظري:

وهو " تصورات وتصديقات تنتظم انتظاما خاصا على شروط خاصة، فتفيد معلوما آخر من جنسها في التصور أو التصديق ثم ينتظم مع غيره فيفيد معلوما آخر كذلك"3، وأفضلها عند ابن خلدون العقل التمييزي؛ لأن به " يحصل منفعه ومعاشه ويدفع مضاره"4.

أكد ابن خلدون على هذه الظاهرة البارزة بين المتعلمين، وطالب المعلمين بمراعاتها.

1 عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 400.

2 المصدر نفسه، ص 400.

3 المصدر نفسه، ص 400.

4 المصدر نفسه، ص 400.

ب/ المتعلم:

التعلم عند ابن خلدون يبدأ بالطالب وينتهي بالطالب، وهو محور العملية التعليمية لذلك وضع له أسس وشروط من عدة جوانب وهي كالتالي:

1. الإصغاء والانتباه للمعلم:

يقول: " ومن فقد في ذلك التقليد فيه أو أعرض عن حسن استماعه وإتباعه طال غناؤه في التأديب بذلك فيجري في غير المؤلف ويدركها على غير نسبة"¹.

ينبه ابن خلدون أن الطالب إذا تشتت ذهنه ولم ينتبه للمعلم يقل تحصيل العلم لديه، وهذا المبدأ يؤكد علم النفس الحديث؛ "أن المرء لا يتعلم إلا بواسطة فعالية تتم في جهازه العصبي كالرؤية والسمع والشم والشعور والتفكير والنشاط الجسمي والحركي وغير هذه من ألوان النشاط فلا بد للمتعلم أن ينهمك بشكل من الأشكال فيما يريد تعلمه"². فسوء الإصغاء للمعلم يولد سوء فهم المادة الدراسية، ولهذا يطلب ابن خلدون من المتعلمين الانتباه للمعلم أثناء الشرح وعدم الاشتغال بالأمر الأخرى.

2. الاستعداد للتعلم:

يقول: " يراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه"³. أوجب ابن خلدون استعداد المتعلم لتلقي المعلومات وتهيأ الذهن لها من خلال قوله. وهذا ما اعتبره التربويون المحدثون من شروط التعلم الضرورية لدى المتعلم

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص437.

² حسين عبد الله بانبيله: ابن خلدون وتراثه التربوي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، سنة 1984م، ص119.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 536.

حيث "عندما لا يكون للذات الاستعداد للاستجابة والتقبل فإن وظيفة الحواس المستقبلية تتعطل وتصبح غير موجودة"¹.

فالاستعداد عنده ضرورة لنجاح العملية التعليمية، و به يتحقق تلقي وتقبل الخبرات والمعلومات لدى المتعلم.

3. إتباع الميول والرغبات في التعليم:

يؤكد ابن خلدون على قضية هامة وهي معرفة الطالب وجهته في التعلم لتحقيق أهدافه. في قوله: " أن الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المحل فلا تحصل إلا ناقصة"². ومثال ذلك عنده: " حتى إن أهل العلم الذين ملكتهم فكريّة بهذه المثابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم و أجادها فقل أن يجيد ملكة علم أخرى على نسبته بل يكون مقصرا فيه إن طلبه"³، المتعلم عند ابن خلدون بمقدوره إتقان و إيجاد إلا علم واحد.

و قد تولت التربية الحديثة اليوم "العناية بميول الطلاب و قابليتهم، وتوجيههم نحو الدراسات التي تؤهلهم لها تلك الميول و القابليات"⁴، "لأن التلميذ عادة يقبل المواد التي يميل إليها ويقبل على تعلمها برغبة و راحة"⁵.

عند ابن خلدون لكل متعلم ميول ورغبات تميزه عن غيره وهذا الميل والرغبة لوجهة ما هو الذي يخلق إتقانها وإجادتها و حب مواصلة العمل فيها، فلهذا يطالب المتعلم بإتباع تلك الميول.

¹ فائدة صبرى الجوهري: المدخل لعلم النفس التربوي، ص13.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 564.

³ المصدر نفسه، ص 565.

⁴ عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص189.

⁵ ينظر: فائدة صبرى الجوهري: المدخل لعلم النفس التربوي، ص 66.

4. الرحلة في طلب العلم:

يقول ابن خلدون: " إن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب و الفضائل: تارة علما و تعليما و إلقاء و تارة محاكاة و تلقينا بالمباشر، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة و التلقين أشد استحكاما و أقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات و رسوخها"¹.

فهو يرى أن لهذه الطريقة أثر كبير في ترسيخ العلم لأن بالتلقين المباشر يستخدم المتعلم حواسه ولا يتسنى له نسيان المعلومة، و نطلق عليها في عصرنا الحاضر (التجربة العملية) .

" و ابن خلدون لا ينسى ما للطريقة العملية من قيم في التعليم، بل ليست هناك أية وسيلة أكثر فعالية في التعليم من الأخذ بالمسائل العملية"².

والمناهج الحديثة ترى أن "من عوامل انحدار مستوى التعليم باللغة العربية ما يؤخذ على التعليم المغلق في حد ذاته إذ لا يزال مقيدا بمكان واحد و هو المدرسة"³. فضل ابن خلدون الرحلة في طلب العلم للمتعلمين لما لها تفعيل في عقل وحواس المتعلم أثناء التعلم و بها تحصل الملكات، و هذه هي التجربة العملية المعمول بها في المناهج الحديثة.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص542.

² حسين عبد الله بانبيله: ابن خلدون وتراثه التربوي، ص103.

³ ينظر: ناصرالدين حناشي وآخرون: مجلة الممارسات اللغوية، ص 51.

ج/ المحتوى:

لابد للمحتوى أن يقدم دوره بنجاح في العملية التعليمية، و هذا النجاح يتطلب معايير محددة مسبقا لكي ينعكس إيجابا على المتعلم المطلوب، والمتعلم عامل أساسي في تحديد المحتوى لدى ابن خلدون وانطلاقا منه وضع هذه المعايير:

1. تسلسل المواد التعليمية وعدم الانقطاع بينها:

يقول: " فيعسر حصول الملكة بتفريقها، و إذا كانت أوائل العلم و أواخره حاضرة عند الفكرة مجانية للنسيان كانت الملكة أيسر حصولا و أحكم ارتباطا و أقرب صبغة"¹، "فصل المواد الدراسية عن بعضها البعض يستحضر النسيان عند ابن خلدون و تربية الملكة لدى المتعلم تتطلب احتفاظه بما اكتسبه الطالب ليستحضره عند الحاجة وهذا يحتاج إلى زمن وهو عامل سلبي في الذاكرة يعالج بالتكرار وعدم الانقطاع"². وهذه الفكرة أكدها علم النفس التربوي الحديث، عن تسلسل المواد وتنظيمها؛ "أن الخبرات التي تقدم على نحو منظم ومتسلسل يكون تعلمها وتذكرها أسهل من المعلومات غير المنظمة أو المبعثرة"³. فكرة ابن خلدون في معالجة النسيان بالتكرار فكرة تنطلق من طبيعة المتعلم الفزيولوجية.

2. انتقاء الموضوعات العلمية من واقع المتعلم:

يقول: " لو اقتصر المعلمون على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا ومأخذه قريبا "¹.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 537.

² ينظر: سناء دراوشة: الفكر التربوي الخلدوني-مقاربة بين الأصالة والمعاصرة-، مؤتمر ابن خلدون، ص 24.

³ عماد عبد الرحيم الزغول: مبادئ علم النفس التربوي، ص 150.

فيجب أن تتماشى المعارف عند ابن خلدون مع واقع التلميذ، ومساعدته على فهمها ومحاولة تبسيطها لتحقيق هدف التعليم، وهذا ما تحرص عليه المناهج العلمية الحديثة في تعليم اللغة العربية "أن تكون النصوص تصف الأحداث والمشكلات وصفا دقيقا وليست لأمال بعيدة لا علاقة لها بالواقع"².

يرى ابن خلدون أن موضوعات المحتوى المستقاة من واقع التلميذ، تكون مألوفة وقريبة من فهمه ومن اهتماماته ومن واقعه المعاش، فيكون تقبلها سهلا ومأخذها قريب وهذا ما طالبت به المناهج الحديثة.

3. التدرج من السهل إلى الصعب:

قال في هذه المسألة: " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا و قليلا قليلا "³.

على المعلم أن ينتقل في شرح المادة العلمية من البسيط إلى المركب، ومن الجزء إلى الكل حتى يتمكن المتعلم من استيعابها و فهمها، فالمتعلم قدراته لا تسمح له بقبول المادة دفعة واحدة. وخصوصا في المراحل الأولى وهذا التبسيط والتدرج تفره المناهج المدرسية الحديثة في أن "المدرس ينتقل من الجزئيات إلى الكليات ويتدرج من الأمثلة أو التجارب إلى التعريف أو القاعدة أو الحكم"⁴.

فابن خلدون يرى في تبسيط وتسهيل المحتوى للمتعلم استجابة لقبول المادة وفهمها وهذه من خصائص محتوى المناهج الحديثة في المراحل الابتدائية.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 532.

² ينظر: علي احمد مذكور: تدريس فنون اللغة العربية، دار الفكر العربي، د.ط، القاهرة، مصر، سنة 2006م، ص149.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 536.

⁴ ينظر: محمود علي السمان: التوجيه في تدريس اللغة العربية، ص77.

4. الإكثار من التمارين اللغوية:

يقول: " فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل، و بعدت عن مناحي اللسان و ملكته، و ما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان و تراكيبه و تمييز أساليبه، و غفلتهم عن المران في ذلك المتعلم، فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللسان"¹.

" إن التعليم اللغوي في نظر ابن خلدون و في نظر كثير من اللسانيين التربويين لا يجدي نفعا بدون التطبيق العملي، إذ يصبح التعليم اللغوي بدون تنظير لا أثر له على المتعلم"².

"في هذه المرحلة يمكن أن نطمئن إلى نضج فكره وقدرته على فهم القواعد بالطريقة القاصدة، التي تعتمد على الأمثلة والمناقشة والاستبطان والتطبيق"³.

عند ابن خلدون ينبغي أن يسمح للمتعلمين في كل درس أن يخضعوا لاختبار شخصي ليتم تقييمهم سواء من طرف المعلم، أو تقييم أنفسهم لما تلقوه والتمارين والأنشطة اللغوية لا تفارق نهاية كل درس في المناهج التربوية الحديثة لما لها نفع على المتعلم وكذلك المعلم.

2- مراحل التعليم عند ابن خلدون:

نظر ابن خلدون في تقسيمه لطرق التعليم إلى نمو الطفل حسب مراحل العمرية فلكل مرحلة سماتها الخاصة، فهذه السمات هي التي تحدد الطريقة الأنسب والأنجع لمستواها العمري، وقد قسمها إلى مرحلتين وهما:

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 560.

² المصدر نفسه، ص 19.

³ عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص 209.

المرحلة الأولى: قبل سن الرشد

1. التلقين:

يراهنا ابن خلدون طريقة مناسبة في التعليم في المراحل الأولى، لأن الطفل في هذه المرحلة فكره لم يكتمل، و تناسب مستواه العقلي، "ولا يعلم الطفل قواعد مطلقاً لأنه محدود الخبرات فحاجته ماسة إلى تنمية محصوله اللغوي"¹.

وقد كانت عنده على اتجاهين هما:

* الاقتصار على القرآن فقط:

يقول في هذا: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن.... لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب"².

وهذا الاقتصار كان نتيجته أنهم أفضل البلدان في حفظ القرآن و رسمه من خلال قوله: لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم، كذلك اعتمد هذه الطريقة أهل إفريقية لكن كانوا يلقنونه مع قليلا من العلوم في قوله: "وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان بالقرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه"³.

* علوم اللغة العربية مع القرآن:

يقول: "أهل الأندلس أفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي؛ يتبين لنا أنها أفضل الطرق في تعليم الولدان عنده.

¹ ينظر: إبراهيم عبد العليم: الموجه الفني في تدريس اللغة العربية، ص208.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 539.

³ المصدر نفسه، ص540.

على الرغم من إدراك ابن خلدون لأهمية تعليم القرآن في الصغر إلى أنه فضل تقديم تعليم اللغة العربية على سائر العلوم الأخرى؛ لأن بها تستحكم الملكة وتجود.

2. المحاكاة و التقليد:

التقليد و المحاكاة عند ابن خلدون من طرق التعليم الهامة؛ حيث يقول فيها: " و قد يسهل الله على كثير من البشر تحصيل ذلك في أقرب من زمن التجربة؛ إذ قلد فيه الآباء و المشيخة و الأكابر و لقن عنهم و وعي تعليمهم فسيتغنى عن طول المعاناة في تتبع الوقائع و اقتناص هذا المعنى من بينها، ومن فقد العلم في ذلك و التقليد فيه أو أعرض عن حسن استماعه و إتباعه طال غناؤه في التأديب بذلك فيجري في غير مألوف و يدركها على غير نسبة فتوجد آدابه و معاملاته سيئة الأوضاع بادية الخلل ويفسد حاله في معاشه بين أبناء جنسه"¹.

يرى فيه اختصار و تسهيل للوقت و تقليد المعلم يكسب المتعلم خبرات جاهزة و صحيحة الفكرة و المجال، لأن في البحث قد يخطأ المتعلم في اختياره للمعلومات لعدم خبرته.

3. التجربة:

الطفل عندما يتجاوز مرحلة التلقين و المحاكاة تنمو حواسه الفكرية؛ و بذلك لا يستطيع استيعاب ما هو مجرد و بعيد عن واقعه فعلى المعلم في هذه المرحلة أن يخضع المعلومات إلى التجربة، لكي يستفيد المتعلم منها. و يبين ذلك في قوله: "هذه المعاني لا تبعد عن الحس كل البعد ولا يتعمق فيها الناظر بل كلها تدرك بالتجربة. و بها تستفاد لأنها معاني جزئية تتعلق بالمحسوسات و صدقها و كذبها يظهر قريبا في الواقع فيستفيد طالبها حصول العلم بها"².

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 437.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 437.

"إن ابن خلدون نجده قد سبق هذا وذاك طالبا من المتعلمين والمعلمين على السواء أن يمارسوا ويباشروا ويجربوا مستعينين بحواسهم قبل أفكارهم ليكسبوا ملكة الصناعة بالشكل الذي أرادها"¹.

المرحلة الثانية: بعد سن الرشد

لم يفصل ابن خلدون في هذه المرحلة لأن المتعلم يكون فيها واعيا؛ بمقدوره التعلم لنفسه والمعلم يكون المرشد والموجه لأخطائه، وجعلها متعلقة بالعلوم الفقهية والحديث والسنة النبوية الشريفة.

ثانيا: مهارات و طرق التعليم عند ابن خلدون

1- مهارات التعليم عند ابن خلدون:

هدف تعليم اللغة العربية إكساب المتعلم القدرة على التواصل بها، وهذا يتطلب إتقان مهاراتها الأربعة؛ (الاستماع-الكلام-القراءة-الكتابة)، ولكل مهارة عند ابن خلدون هدف أساسي يسعى المعلم لتحقيقه؛ وهي كالتالي:

1.1. مهارة الاستماع:

منذ القديم حرص العرب كل الحرص على نشأة أبنائهم في البوادي، لتعلم اللغة العربية بطريقة صافية وسليمة، أما اليوم لغياب تلك البيئة اهتم الباحثون بمهارة السماع في التعليم لخلق ولو بجزء قليل تلك البيئة وابن خلدون واحد من هؤلاء وأبرزهم. واعتبره أبو الملكات؛ في قوله: "السمع أبو الملكات"¹، و الاستماع مهارة ضرورية لتحقيق المهارات اللاحقة من كلام وقراءة وكتابة والدليل على ذلك أن الطفل الأصم لا يستطيع الكلام لفقدانه حاسة الاستماع.

¹ عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، دار اقرأ، ط1، بيروت، لبنان، سنة 1984م، ص 98.

وعند ابن خلدون يمر بأربعة مراحل في قوله: " فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله و أساليبهم في مخاطبتهم و كيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة و من كل متكلم و استعمالهم يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة و صفة راسخة و يكون كأحدهم"² و تكون كالتالي:

1- سماع اللغة المتداولة من مفردات و تراكيب.

2- سماع الكلمات في تجدد معانيها و أحوالها.

3- ثم يأتي التكرار الذي هو أساس الرسوخ و الحفظ.

4- تحقق مهارة السماع من خلال اكتساب اللغة.

و حالياً تتم هذه المهارة في المدارس "بالإنصات و الفهم و إدراك المسموع، مع مراعاة آداب الاستماع و ملاحظة نبرات الصوت المنبعث و طريقة الأداء اللفظي"³.

الاستماع سواء عند ابن خلدون أو المناهج الحديثة هو أساس المهارات و به يتمكن المتعلم من التكلم بفصاحة اللغة العربية، و سلامة نطقها.

2.1. مهارة الكلام:

"ينفق اللغويون و التربويون عموماً على أن اكتساب القدرة على التعبير الواضح الجميل هو الحصيلة النهائية لتعليم اللغة العربية"⁴، فمهارة الكلام هي هدف جميع فروعها لذلك تتطلب إتقان اللغة و دقة التحكم فيه.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 548.

² المصدر نفسه، ص 555.

³ ينظر: وزارة التربية و التعليم: الوثيقة الوطنية المطورة لمنهاج اللغة العربية، الإمارات العربية المتحدة، سنة 2004م، ص 24.

⁴ علي احمد مذكور: تدريس فنون اللغة العربية، ص 269.

وقد شبه ابن خلدون أن الجاهل بها كالمقعد الذي يمتلك أرجل ولا يستطيع الحركة؛ في قوله: " إنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان إذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه"¹، و للمعلم دور هام في تنمية وتطوير هذه المهارة لدى المتعلم، وتعلمها صناعة كما يقول: " فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء و يرضى فلا تحتاج إلى تكلف صناعة في تأليفها، و تأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني"².

ومن خلال قوله: " فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقتها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم"³، حيث حدد ثلاث مراحل لاكتسابها:

- حفظ كلام العرب نظماً أو نثراً.
 - استقرار الملكة في اللسان والتخلص من العجمة.
 - تحقق مهارة الكلام من خلال الاستعمال.
- فبداية تكون بسماع وحفظ كلام العرب سواء نثراً أو نظماً ليتخلص من العامية التي ربي ونشأ عليها، حتى تجري اللغة الفصيحة على لسانه و يتمكن منها.

3.1. مهارة القراءة:

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 578.

² المصدر نفسه، ص 577.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 577.

* هي قطع تختار من التراث الأدبي تتخذ لتدريب المتعلمين.

اقتصرت مهارة القراءة عند ابن خلدون على تحفيظ النصوص الأدبية* للمتعلمين بالتلقي شفاهة، لكي تستحكم الملكة وتجوّد في قوله: "وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم إجادة الملكة من بعدهما"¹. فمن قوله مهارة القراءة لا تتم ولا تتحقق عنده دون مهارة الاستماع، فالاستماع هو أساس التعلم اللفظي عند ابن خلدون وبالحفظ والتكرار و الممارسة في الحياة الطبيعية تجود هذه الملكة أو المهارة.

وذكر عبد العليم إبراهيم ثلاث عناصر للقراءة: "المعنى الذهني، اللفظ الذي يؤديه، الرمز المكتوب، ومهمة المدرسة هي التأليف السريع بين هذه العناصر الثلاثة"². من خلال الرأيين؛ القراءة ملكة في الذهن تتطلب حفظ الألفاظ، حتى ترتسم رموز الكلمات مع نطقها في ذهن المتعلم، فتخرج على شكل حروف مسموعة.

4.1. مهارة الخط والكتابة:

اهتم ابن خلدون بتعليم الخط ووضع فصلا له في مقدمته بعنوان "في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع"، حيث عرفه قائلا: "هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس"³.

"وقد نال المرتبة الثانية من اهتمام اللغويين به لأنه ثاني رتبة في الدلالة اللغوية"⁴ واعتبره ميزة ووسيلة إنسانية للتعبير عن النفس؛ في قوله: "وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان، و أيضا فهي تطلع عما في الضمائر و تتأدى بها الأغراض"⁵.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص560.

² ينظر: عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص57.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص386.

⁴ ينظر: محمد عيد: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص164.

⁵ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص386

"والكتابة في نظر ابن خلدون لم تكن توفيق من الله كما ذهب إلى معظم القدماء وإنما هي شكل من أشكال التواصل بين البشر و بها تقضى الحاجات"¹ ، وهي مختلفة باختلاف اللغات والدول والأجيال في قوله: " ولكل منهما قوانين كلية مستقاة من عباراتهم غير قوانين الآخرين"²، منها " الخط السرياني وهو كتابة النبط و الكلدانيين، والخط العبراني الذي هو كتابة بني عابر بن شالح من بني إسرائيل وغيرهم، والخط اللطيني من الروم ولهم أيضا لسان مختص بهم"³.

و الخط يوجد حيث تجود العمران في قوله: "ولهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرؤون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا وقراءته غير نافعة، ونجد تعليم الخط في الأمصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل طريقا لاستحكام الصنعة فيها"⁴، و عرض لنا طريقتين لتعليم الخط في عهده:

* طريقة المحاكاة بالكل:

وتكون من خلال تقليد الكلمات والجمل إلى أن يتمكن المتعلم من إجادة الحروف؛ ويوضح هذا في قوله: " و ليس الشأن في تعليم الخط بالأندلس والمغرب كذلك في تعلم كل حرف بانفراده على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم وإنما يتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات جملة، ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له إلى أن يحصل له الإجادة ويتمكن في بنائه الملكة فيسمى مجيدا "⁵.

* طريقة المحاكاة بالجزء(الحرف):

وهي متبعة عند أهل مصر، وقد فضلها على الطريقة الأخرى لما فيها من سهولة وحسن التلقين؛ يقول: " و نجد تعليم الخط في الأمصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ

¹ باسم يونس البديرات: الفكر اللغوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة المعاصر، ص 157.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 533.

³ ينظر:المصدر نفسه، ص 386.

⁴ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 386.

⁵ المصدر نفسه، ص 387.

و أحسن و أسهل طريقا لاستحكام الصنعة فيها، كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد و أن بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاما في وضع كل حرف "1.

وقد أحاط بفوائد الكتابة في قوله: " حافظه على الإنسان حاجته و مقيدة لها عن النسيان و مبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب و مخلدة نتائج الأفكار و العلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني"2. و هي كالتالي:

- أنها مخزنة و مسجلة حاجات الإنسان على عكس النسيان.

- أنها ترجمان النفس.

- حافظه الأفكار عبر التاريخ.

- أفضل وسيلة للتعبير عن المعاني .

اللغة المكتوبة تؤدي معظم مهام الحياة اليومية من جرائد و مجلات و كتب و رسائل مما يؤكد سيرورة أهميتها من القديم إلى وقتنا الحالي.

الاستماع للغة العربية ضروري لها قبل التكلم بها، و معرفة رموز أصواتها ضروري لها قبل رسمها، فلا يمكن لأي مهارة الاستغناء عن الأخرى.

2- طرق التعليم عند ابن خلدون:

لم يطلب ابن خلدون من المعلمين استخدام طريقة واحدة في التدريس، و أجاز لهم استخدام الطريقة التي تناسب قدرات و ميول و إمكانيات الطلاب، لأن التعليم عنده صناعة و الصانع يختلفون في طرق صناعتهم؛ ويقول في هذا: "تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم إذ لو كان من العلم

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 387.

² المصدر نفسه، ص 379

لكان واحدا عند جميعهم"¹، "و لكل صناعة طرق مختلفة و يحق للمعلم أن يستخدم كل الطرق أو بعضها لتحقيق الأهداف المرجوة، و هذا الرأي يتفق مع ما يقوله رجال التربية في الوقت الحاضر في اختيار الطريقة التي تناسب المادة الدراسية و مستوى الطلاب"².

1.2. الطريقة الاستقرائية:

أفضل الطرق بالنسبة للمبتدئ لأنها تنطلق من القضايا الجزئية إلى القضايا الكلية؛ قال رحمة الله عليه في هذه المسألة: " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا و قليلا قليلا"³.

طلب من المعلمين التدرج في التعليم، لما فيه من تسهيل وتبسيط للمعلومات على ذهن المتعلم ، والمناهج التربوية الحديثة تطالب بإتباعها خصوصا في المراحل التعليمية الأولى، حيث "يبدأ فيها المعلم من الجزء إلى الكل و تقوم على الأمثلة التي يشرحها بداية ثم يستتبط منها القاعدة"⁴.

فكرة الانتقال بالمادة التعليمية من الجزء إلى الكل عند ابن خلدون مناسبة في المراحل التعليمية الابتدائية لأنها تتوافق مع إدراك الطفل وهذا ما تقر به المناهج التربوية الحديثة.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 401.

ينظر: محمد بن إبراهيم الفوزان: ابن خلدون وفكره التربوي، (مقال)، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ص 8.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص536.

⁴ ينظر: سعدون محمود الساموك وآخرون: مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها، دار وائل للنشر، ط1، سنة2005م، ص228.

2.2. الطريقة القياسية:

هذه الطريقة هي عكس الطريقة الاستقرائية تنطلق من الكل لتصل إلى الجزء، ولقد أشار ابن خلدون إلى المراحل التي تتم وفقها هذه الطريقة؛ في قوله: "يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، و يقرب له شرحها على سبيل الإجمال و يراعى في ذلك قوة عقله و استعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن و عند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية و ضعيفة، و غايتها أنها هيأته لفهم الفن و تحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها و يستوفى فتجود ملكته، ثم يرجع به و قد شدا فلا يترك عويصا و لا مبهما و لا متعلقا إلا وضحه و فتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته"¹.

"و هذا ما شرحه في اقتراحه ذي التكرارات الثلاث : التكرار الأول خاص بأصول العلم مع مراعاة عقل المتعلم في اختيار مصطلحات هذا العلم، ثم التكرار الثاني وهو خاص بالشرح و توضيح الخلافات، ثم التكرار الثالث و هو خاص بحل العويص و الغامض مبينا أنه لا تحصل الفائدة إلا بهذه التكرارات"².

يرى ابن خلدون أن الواجب على المعلم أن ينتقل في شرح المادة العلمية من الإجمال إلى التفصيل ، حتى يتمكن المتعلم من إستيعابها و فهمها.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 536.

² ينظر: أسماء بنت إبراهيم الجوير: الفكر اللساني التربوي عند ابن خلدون، ص 19.

وهذا ما نادى به الجشطالتيون في العصر الحديث؛ "إذ قالوا أن العقل لا يدرك المواقف الحسية مفككة، بإدراكها أولاً ثم إدراك الكل، و إنما يدركها ككليات ثم ينتقل بعدئذ إلى إدراك الأجزاء تدريجياً"¹.

وهذه الفكرة مناسبة في المراحل التعليمية المتطورة، كالمرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية ومعمول بها حالياً داخل المؤسسات التربوية.

3.2. الطريقة الحوارية:

دعى العلامة العربي ابن خلدون إلى استخدام طريقة المناقشة في التعليم، فهو يرى فيها سبيلاً لفك العقدة التي قد يصاب بها بعض الطلاب بينهم وبين المعلم، فهذه الطريقة ترفع حاجز الخجل و الخوف للمتعلم، و بذلك يستطيع التعبير عن كل قدراته.

يقول في هذا الأمر: " و أيسر طرق هذه الملكة قوة اللسان بالمحاورة و المناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها و يحصل مرامها"².

"و من العوامل المؤدية لتدني مستوى التعليم تعود التلاميذ على الحفظ لا غير فقلما يصادف طالبا يناقش معلمه و يحاوره"³.

وفي وقتنا الحالي يطالب رجال التربية باستخدام هذه الطريقة لما لها مزايا فكرية واجتماعية وعدم توظيفها في الدرس يؤدي إلى الجمود، ويصبح المتعلم آلة مستقبلية للمعلومات فقط.

فنظرة ابن خلدون لهذه الطريقة نظرة صائبة في رفع مستوى المتعلمين ولها إيجابيات في حياتهم سواء من الناحية التعليمية أو من الناحية الاجتماعية. وهذه الطريقة تناسب جميع المراحل التعليمية.

¹ حسين عبد الله بانبيله: ابن خلدون و تراثه التربوي، ص140.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 402.

³ ينظر: ناصر الدين حناشي وآخرون: مجلة الممارسات اللغوية، ص54.

إن فنجاح التعليم يرتبط بنجاح الطريقة، والقصور الذي يوجد في المنهج أو في المتعلمين قد تعالجه الطريقة لأنها هي التي تنظم المعرفة بأيسر السبل.

ثالثاً: أهداف و نقائص التعليم عند ابن خلدون

1- أهداف التعليم عند ابن خلدون:

لا ينبغي أن تقتصر أهداف العملية التعليمية على الإعداد المعرفي فقط؛ بل يجب أن تتعدى جوانب الحياة بأكملها عند ابن خلدون، وقد قدم لنا أهدافاً تلبي حاجة الفرد داخل مجتمعه، ولا بد أن تكون واقعية حتى يتمكن المعلم وتلاميذه من تحقيقها. فذكر جملة من الأهداف العامة والخاصة وهي كالتالي:

1.1. الأهداف العامة:

* تربية الملكات:

يقول: " والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ"¹، "لا يتوقف دور عملية التدريس على تزويد الأفراد بالمعرفة والمعلومات فحسب بل يتعدى ذلك إلى تطوير القدرات والمهارات العقلية والحركية"²، لما لها دور في النهوض بالمجتمع فالإنسان الذي يمتلك مهارة سوف تعينه في كسب قوته ونجاح حياته.

* اكتساب الصناعة:

يقول: " أن تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع"³، فبالعلم يستطيع أن يعلم الأجيال الناشئة وهذا عند ابن خلدون من أفضل الصنائع.

2.1. الأهداف الخاصة:

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص401.

² عماد عبد الرحيم الزغلول: مبادئ علم النفس التربوي، ص 30.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص404.

* الإعداد الديني:

يقول: " اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث"¹.

"والمناهج الحديثة تحاول ترسيخ العقيدة الإسلامية وتعزيز القيم الإنسانية من خلال محتوى النصوص الأدبية و المعلوماتية"².

فألقرآن عند ابن خلدون في المراحل الأولى ضروري لبناء شخصية التلميذ، وتعزيز مبادئ الدين الإسلامي لديه، والإنسان الذي يتعلم القرآن الكريم تتكون له روح دينية وخلقية تسهم في نجاح حياته ومعاملاته مع أفراد مجتمعه.

* الإعداد الخلقى:

يجب على المعلم أن يكون موجه وقائد وناصح وقدوة للمتعلم في أسلوب تعامله مع الناس، يقول: " أن الإنسان ابن عوائده ومألوفة لابن طبيعته ومزاجه فالذي ألفه في الأحوال صار خلقا وملكة وعادة نزل منزلة الطبيعة و الجبل"³.

* الإعداد العقلي:

مساعدة المتعلم على تنمية قدرته العقلية من أساسيات التعليم عند ابن خلدون، وما ذكره عن فن الكتابة والحساب خير دليل على ذلك في قوله: "في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة"⁴.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 539.

² ينظر: وزارة التربية والتعليم: الوثيقة الوطنية المطورة لمنهاج اللغة العربية، ص 20.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 573.

⁴ المصدر نفسه، ص 399.

* الإعداد المهني:

يقول: "وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة، ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات"¹.

فعند اكتمال مرحلة التعلم يخرج المتعلم للحياة المهنية، وعند ابن خلدون تؤثر جودة التعليم في ذلك، لأن تلك الخبرات التعليمية التي تلقاها المتعلم تساعده في عمله وحياته المهنية، وفي المناهج الحديثة "يكون نظام التعليم معداً لإصلاح البلاد، وما يتعلمه الفرد من معارف هي وليدة الحاجة لغرض الإفادة من هذه المعلومات في مجالات العمل المختلفة"².

إن العملية التعليمية عند ابن خلدون؛ لا تنجح إلا بتخطيط وحسن صياغة جيدة لأهدافها العامة والخاصة.

2- نقائص التعليم عند ابن خلدون:

إن خبرة ابن خلدون في ميدان التعليم سواء من ناحية اشتغاله بمهنة التعليم، أو من ناحية تنقلاته بين البلدان و احتكاكاته بالعلماء و الأدباء، جعلته يحدد نقائص التعليم في عصره و جاءت في المقدمة كما يلي:

1.2. كثرة التأليف:

جعل ابن خلدون التعليم وسيلة لا غاية في ذاته للوصول إلى العلم و كثرة التأليف فيه نشأ اختلاف المصطلحات، و يمضي المتعلم عمره كله دون أن يحصل على

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 372.

² فوزية الحاج علي البدري: أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، ط1، عمان، الأردن، سنة 2009م، ص 166.

صناعة واحدة وبذلك تضيع الغاية من التعلم التي هي إدراك العلم و ليست وسائله و طرقه و اصطلاحاته الموصلة إليه¹. و قوله الأتي يوضح ذلك: " اعلم أنه مما أضر الناس في تحصيل العلم و الوقوف على غايته كثرة التأليف و اختلاف الاصطلاحات في التعليم، و تعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم و التلميذ باستحضار ذلك و حينئذ يسلم له منصب التحصيل"².

فكثرة التأليف عنده مخلة للتعليم وملكة التعليم يجب أن تتحقق في أقصر وقت لكي تعود بالنفع على التعليم.

2.2. كثرة الاختصار:

يشير ابن خلدون أن القصد من لجوء المختصرين لهذه الطريقة تسهила للحفظ على المتعلم لكن جاءها الفساد من كونها تعرض العلوم في عبارات صعبة الفهم؛ كما يتبين في قوله هذا: " ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأحشاء في العلوم يولعون بها و يدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله و أدلتها باختصار في الألفاظ، و حشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، فصار ذلك مخلا بالبلاغة و عسيرا على الفهم"³.

و يعطي كذلك مثالا على هذه الظاهرة السلبية في قوله: " كما فعله ابن الحاجب في الفقه و أصول الفقه، و ابن مالك في العربية و الخونجي في المنطق و أمثالهم، وهو فساد في التعليم و فيه إخلال بالتحصيل"⁴ و يظهر الأسباب في ذلك: " و ذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه و هو لم يستعد لقبولها بعد"⁵.

¹ ينظر: حسين عبد الله بانبيله: ابن خلدون و تراثه التربوي، ص 89.

² عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 531.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 535.

⁴ المصدر نفسه، ص 535.

⁵ المصدر نفسه، ص 535.

وكثرة الاختصار كذلك مخلة للتعليم لأن المراحل المنهجية للمتعلم لا تؤدي كما ينبغي وتتكون لديه ملكة قاصرة.

3.2. عدم المناقشة أو الجواب:

يسمي ابن خلدون المحاوره و المناظرة و المفاوضة في مواضع العلم بـ " ملكة التصرف"¹، فهو ينتقد كثرة الحفظ دون مناقشة بين المعلم و المتعلم يقول: إن أيسر طرق هذه الملكة (أي ملكة العلم) فتق اللسان بالمحاوره و المناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها و يحصل مرامها²، و الدليل على ذلك قوله: " فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون و لا يفاوضون و عنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة"³. أكد ابن خلدون على ضرورة استخدام هذا الأسلوب، لأن به يتحصل المتعلم على ملكة العلم و يصبح على درجة عالية من الفهم و الوعي.

4.2. كثرة القواعد في العلوم الآلية:

يرى ابن خلدون أن الإكثار من القواعد و القوانين في العلوم التي هي آلات لغيرها، مثل العربية و المنطق و أمثالهما خروج عن مقاصدها، و بالتالي يصبح الاشتغال بها لغوا، و ربما يكون هذا عائقا في تحصيل العلوم المقصودة التي شأنها أهم⁴. و نستشهد بقوله في هذا الشأن: " أعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين : علوم مقصودة بالذات، كالشرعيات من التفسير و الحديث و الفقه و علم

¹ المصدر نفسه، ص 402.

² ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص 455.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 402.

⁴ فتحة حداد: ابن خلدون و آراؤه اللغوية و التعليمية- دراسة تحليلية نقدية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، د.ط، الجزائر، ص 207.

الكلام، كالتطبيقات و الإلهيات من الفلسفة، و علوم هي آلة وسيلة لهذه العلوم، كالعربية و الحساب و غيرهما للشرعيات... فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستبحروا في شأنها و لا يستكثروا من مسائلها و ينبهوا المتعلم على الغرض منها و يقفوا به عنده"¹.

"يرى بعض المربين أنه يمكن الاستغناء عن تدريس القواعد النحوية في حصص مستقلة... لأن تخصيص حصص لدروس القواعد ضرب من العبث ومضيعة لوقت التلاميذ وجهودهم بدون جدوى"².

إذن فالعلوم الآلية عند ابن خلدون هي علوم لا تدرس لذاتها وإنما وسيلة لدراسة غيرها فلا يجب التعمق فيها لأن في ذلك سوء للتعليم.

5.2. الحفظ دون الفهم:

في قوله: " و إلا فحفظهم أبلغ من حفظ من سواهم لشدة عنايتهم به و ظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية و ليس كذلك"³، لأن الحفظ بدون فهم عند ابن خلدون لا يكسب المتعلم استخدامه الصحيح للملكة التي اكتسبها و يصبح لديه خلط في التوظيف المناسب لها.

"استظهار المسائل النحوية دون تفهم وتعقل وإهمال الجانب التطبيقي وغايتها العملية يؤدي إلى إخفاق التلميذ على التعبير، فكثير منهم يحفظون القواعد ولكن أسلوبهم ركيك و عباراتهم رديئة"⁴.

فابن خلدون لم يرفض الحفظ لكن ألزمه الفهم فالأول غايته أن يتمرن ويتمكن المتعلم من المادة أما الثاني فغاياته حسن توظيفها واستعمالها.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 538.

² إبراهيم عبد العليم، الموجه الفني في تدريس اللغة العربية، ص 203.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 402.

⁴ ينظر: عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني في تدريس اللغة العربية، ص 204.

6.2. الاقتصار على القرآن الكريم:

يقول ابن خلدون : " فأما أهل إفريقية و المغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة و ذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه و الاحتذاء بها، و ليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي و حظه الجمود في العبارات و قلة التصرف في الكلام"¹.

يرى أن تعلم القرآن وحده في الصغر لا يكون الملكة اللسانية لأن القرآن معجزة من الله و لا يمكن الإتيان بمثله، و بذلك يكون لديه قصور في تكوين ملكته، " و خير دليل على ذلك تعلم الأجانب القرآن؛ كالإيرانيين و الباكستانيين و الأتراك و غيرهم، حيث ترى أحدهم ممسكا بالقرآن الكريم، يقرأ فيه و يرتل القراءة، لكنه مع ذلك قاصر عن الحد الأدنى للتفاهم باللغة العربية"².

7.2. العنف و الشدة على المتعلمين:

يقول " و من كان مرباه بالعسف و القهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر و ضيق على النفس في انبساطها و ذهب نشاطها و دعاه إلى الكسل و حمل على الكذب و الخبث و هو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه و علمه المكر و الخديعة لذلك و صارت له هذه عادة و خلقا"³.

ركز ابن خلدون على العقاب و البعد الذي يترتب عليه على المتعلم، و على تحصيله العلمي، فعندما ينشأ على العنف و الظلم يجد نفسه محتوما للكذب، و الخديعة للخروج من مأزقه، و بذلك تصبح عادة سلبية و تكبر معه.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص540.

² ينظر: محمد عيد: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص42.

³ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 541.

خاتمة:

في نهاية هذا الفصل نجد أن صاحب المقدمة تكاد أفكاره التعليمية تطابق الأبحاث والدراسات الحديثة في نظرتهم للتعليم لأن نظرتهم كانت شاملة له من عدة نواحي اجتماعية ونفسية وتربوية، وهذا ما جعله يتميز عن سابقيه، واتخذ من الملاحظة والمشاهدة الملموسة كونه شغل منصب التعليم أساساً لأحكامه، كان وثيق الصلة بالحياة الإنسانية، نظر للمعلم بأنه مسؤول على مهنة التعليم فأوجب فيه التمكن والحدق في التعليم ونظر للفروق بين المتعلمين وحدد بناء المحتوى انطلاقاً من هذه الفروق وخاصة في الجانب النفسي، وأجاز التنوع في الطرق التعليمية لأن في ذلك تسهيلاً على المتعلمين وقسم أهداف العملية التعليمية إلى قسمين هدف يعود بالنفع على المتعلم-أهداف خاصة-، وهدف يعود بالنفع على المجتمع-أهداف عامة-. وخير دليل على بدهته وبراعة أفكاره؛ أن جميع انطلاقاته معمول بها في وقتنا الحالي وأثبتها العلم التربوي الحديث.

خاتمة

خاتمة:

بعد محاولة استقراء مقدمة ابن خلدون في موضوع تعليمية اللغة العربية توصل
البحث إلى هذه النتائج العلمية المتمثلة في:

- للعملية التعليمية ثلاث عناصر تتكامل في ما بينها: معلم - متعلم - محتوى.
- للغة العربية خصائص تنفرد بها و تميزها عن باقي اللغات.
- أدرك ابن خلدون أن اللغة مقوم من مقومات العمران البشري، و وسيلة تواصل وترابط بين أفرادها.
- توصل إلى أن الملكة تظهر طبيعة وجبلة، لكنها ليس كذلك فهي صفة تكتسب عن طريق التكرار و المران.
- اللغة عند ابن خلدون هي ملكة في اللسان، تكتسب بالحفظ والفهم ثم الاستعمال.
- الذوق اللغوي عند ابن خلدون؛ يحكم على الكلام بالصحة و الخطأ بالسليقة دون قوانين تضبطه.
- امتلاك الملكة اللسانية العربية عند ابن خلدون بحفظ كلام العرب القديم.
- قدم النحو عن اللغة لأن بالنحو تتبين أصول المقاصد بالدلالة وليس اللغة، وفضل تعليم النحو بأمثلة وشواهد وليس قوالب جافة، والكتب النحوية لها دور في هذا.
- أهم آرائه التعليمية؛ جاءت خدمة للمعلم والمتعلم والمحتوى.
- أعطى المعلم مسؤولية التعليم، و جودة تعليم الأستاذ لها انعكاس ايجابي على جودة تعلم المتعلم، وهذا ما نادى به المناهج الحديثة في الرفع من مستوى التعليم.

- نظر في تقسيمه للتعليم خصائص المتعلمين النمائية سواء العقلية أو الجسدية، وهذا ما تطالب به المناهج الحديثة في تحديد مستويات التعلم.
- حسن اختيار المسائل العلمية للمتعلمين يحقق غاية التعليم عند ابن خلدون. لأن فيها تبسيطا وتسهيلا على المتعلمين.
- طالب بالمشاهدة الحسية والابتعاد عن التجريد، وتنظيم المحتوى للمتعلمين من البسيط إلى المركب ومن السهل إلى الصعب، وهذا ما جاءت به التربية الحديثة في أثر التدريب على المتعلمين.
- أمر بعدم لجوء المعلمين إلى العقاب لما له أثر على سلوك المتعلمين، واعتبرته الدراسات التربوية الحديثة معوق من معوقات التعليم.
- نادى بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، وهذه الظاهرة جعلت علم النفس التربوي الحديث يقوم بتزويد المعلمين بمعارف لمراعاة هذه الفروق.
- أوجب ضرورة الإصغاء للمعلمين لما فيها حسن التعليم، والمناهج الحديثة ترى أن المتعلم يجب أن ينهمك بعقله وحواسه لتلقي المادة.
- تلبية ميول المتعلمين فيها رغبة للتعليم عند ابن خلدون، وهذا ما تتولاه التربية الحديثة في توجيه المتعلمين على حسب رغباتهم وميولهم.
- أوصى بالرحلة في طلب العلوم وما لها وقع على ذهن المتعلم. والمناهج الحديثة تنادي بهذا وتطلب الأخذ بالتجربة العلمية للمتعلمين.
- رأى انتقاء المسائل العلمية من واقع المتعلمين أقرب إلى الذهن والفكر، والمناهج الحديثة ترى تقبلها سهلا للمتعلمين.

- فضل الاستعانة بالتمارين اللغوية لأن فيها حسن لإجادة الملكات، وهذا ما هو مقرر في المناهج الحديثة بمطالبة المعلمين الإكثار من التمارين الغوية.
- جعل للتعليم مرحلتين ولكل مرحلة طرق ومناهج تؤدي بها.
- يرى أن الطريقة القياسية تبدأ من الكل لتصل إلى الجزء و هذا هو مبدأ الجشتطالتيون في عصرنا الحديث.
- اعتنى بمهارات اللغة الأربعة و"عد" السمع أبو الملكات"، فالاستماع أساس المهارات و به تتحقق مهارة الكلام ، والقراءة لا تتحقق دون الاستماع وبها نربط الأصوات النطقية بالكلمات، وبهذا تتحقق مهارة الكتابة.
- نظر للخط من الصنائع الإنسانية التي تجود بجودة العمران وقسمها إلى طريقتين: الأولى المحاكاة بالكل، والثانية المحاكاة بالجزء.
- دعا المعلمين إلى التنويع في الطرق التعليمية، وهذا ما ينادي به رجال التربية الحديثة.
- يرى أن أفضل الطرق طريقة المحاوره، وينتقد طريقة الحفظ التي تجعل من المتعلم آلة والمناهج الحديثة تفر بها وتطالب باستخدامها.
- قسم الأهداف التعليمية إلى قسمين: أهداف عامة وأهداف خاصة، الأولى عائدة على المجتمع والدولة، والثانية عائدة على المتعلم لذاته.
- ولخبرته في ميدان التعليم حدد نقائصه في عصره، وتكاد هذه النقائص تنطبق على عصرنا الحالي.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة

مقدمة	أ-ج
مدخل: الجهاز المفهومي	15-5
1- مفهوم التعليمية	05
2- عناصر العملية التعليمية	06
3- خصائص اللغة العربية	11
4- لمحة عن المقدمة	14
الفصل الأول: اللغة و الملكة و النحو عند ابن خلدون	38-17
أولاً: اللغة عند ابن خلدون	17
1- مفهوم اللغة عند ابن خلدون	17
2- اكتساب اللغة عند ابن خلدون	20
3- اللغة والمجتمع عند ابن خلدون	22
ثانياً: الملكة عند ابن خلدون	24
1- مفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون	25
2- اكتساب الملكة اللسانية عند ابن خلدون	26
3- الذوق اللغوي عند ابن خلدون	29
4- الملكة اللغوية غير صناعة العربية عند ابن خلدون	31
ثالثاً: النحو عند ابن خلدون	32

1- مفهوم النحو عند ابن خلدون	32
2- علاقة النحو بالإعراب عند ابن خلدون	34
3- دور الكتب النحوية في خدمة اللسان العربي عند ابن خلدون	35
الفصل الثاني: العملية التعليمية عند ابن خلدون	40-69
أولاً: عناصر و مراحل التعليم عند ابن خلدون	40
1- عناصر العملية التعليمية عند ابن خلدون	40
2- مراحل التعليم عند ابن خلدون	50
ثانياً: مهارات وطرق التعليم عند ابن خلدون	50
1- مهارات التعليم عند ابن خلدون	53
2- طرق التعليم عند ابن خلدون	58
ثالثاً: أهداف و نقائص التعليم عند ابن خلدون	62
1- أهداف التعليم عند ابن خلدون	62
2- نقائص التعليم عند ابن خلدون	64
خاتمة	71
قائمة المصادر و المراجع	75

ملخص:

تمحورت فكرة البحث حول أهم الإرهاصات التعليمية للغة بصفة عامة، واللغة العربية بصفة خاصة عند ابن خلدون، وكانت مقدمة ابن خلدون مجالاً للتطبيق، وقد تناولنا في هذه الدراسة ما يمكن أن تسهم به النظرة الخلدونية في النهوض بالتعليم وخصوصاً تعليم اللغة العربية في الفكر التربوي العربي الحديث، لعدم إغفالها على أي جانب من جوانب التعليم سواء في الجانب السيكولوجي للمتعلم أو في الجانب التربوي لطرق وأهداف التعليم أو في الجانب الاجتماعي وتأثيره في التعليم. وما ذكره فيه إصلاح لنهجنا في التعليم وخير دليل أن جميع انطلاقاته معمول بها في وقتنا الحالي وأثبتها العلم التربوي الحديث.

Résumé :

L'idée de la recherche se déroule sur les précurseurs les plus importants pour l'apprentissage de la langue généralement et la langue arabe en particulier, surtout chez IBN KHALDOUN.

Nous avons abordé dans cette étude peut contribuer Alkhaldounia prescriptives dans la promotion de l'enseignement, en particulier l'enseignement de la langue arabe dans la pensée éducative arabe moderne à ne pas négliger sur tout aspect de l'enseignement à la fois dans l'aspect psychologique de l'apprenant ou au niveau éducatif des systèmes et les buts de l'enseignement ou dans l'aspect social et son impact sur l'enseignement et la meilleure preuve que tous les principes en place à l'heure actuelle et éprouvée par la science de l'éducation moderne.